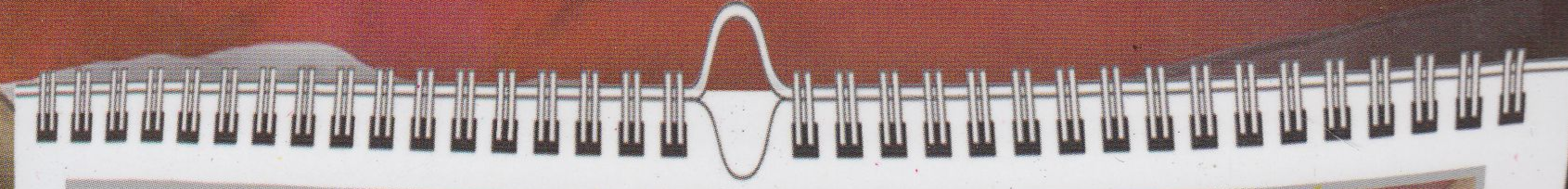
الانتماء المصري

.... إلى أين؟



January 2011

S	M	T	W	T	F	S
						1
2	3	4	5	6	7	8
9	10	11	12	13	14	15
16	17	18	19	20	21	22
23	24	25	26	27	28	29
30	31					

دكتور ريان

سامي زكي عوض

JANUARY

الانتماء المصري
إلـى أيـن ؟

دكتور ربان

سامي زكي عوض

مساعد عميد كلية النقل البحري

بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري

ومستشار وزارة النقل (سابقاً)

البريد الإلكتروني، email: samizakiawad@gmail.com

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

الطبعة الأولى

يناير ٢٠١١م

الناشر : منشأة المعارف ، جلال حزي وشركاه

44 شارع سعد زغلول – محطة الرمل – الإسكندرية – ت/ف 4853055/4873303 الإسكندرية

Email :monchaa@maktoob.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف: غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء الكتاب أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها ،أو نقله على أية وسيلة سواء أكانت إليكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخاً ، أو تسجيلاً أو غيرها إلا بإذن كتابي من الناشر.

اسم الكتـــاب : الأنتماء المصرى الى اين

المـــــــؤلف : د / سامى زكى

رقم الإيداع : 2011/5194

الترقيم الدولى : 77-03-1876-1

التجهيزات الفنية :

كتابة كمبيوتر: المؤلف

تصميم الغلاف: مهندس ماجد سمعان

طبـــاعة : مطبعة نـــــادر

قائمة المحتويات

الفصل الأول

أين الانتماء المصري ؟ ولماذا فقدناه ؟

الفصل الثاني

تاريخ الشعوب والانتماء

الفصل الثالث

حرب أكتوبر ١٩٧٣ والانتماء المصري

الفصل الرابع

ثورة الشباب

تقديـــم

يناقش هذا الكتاب أحد أهم القضايا المحورية التى ترتكز عليها الأمـــم فـــى نموها و تتطورها وهى قضية " الإنتماء "، وذلك من وجهة نظر "شاهد على العصر" بدأ حياته مقاتلاً فى صفوف القوات البحريـــة ومعاصـــراً لمـــرارة الهزيمة عام 1967 ومشاركاً فى حرب أكتوبر المجيدة عام 1973 وباحثـــاً فى قضايا النقل البحرى ومحاضراً للعلوم البحرية ومستـــشاراً لمنظومـــات النقل بكافة صورها وأشكالها لكنه فى كل الأجواء عاشق لتراب هذا الـــوطن غيور على كل ما يمس مصر بسوء متطلع إلى المـــستقبل الأفـــضل دائمـــاً وعلى الرغم من الألم الشديد الذى تعكسه كلمات الكاتـــب عنـــد التعـــرض لسلبيات المجتمع نتيجة لنقص الإنتماء فإنه لايتوقف عند رصـــد الظـــاهرة وإنعكاساتها على حركة الحياة وإنما يبادر كباحث تطبيقى فى إقتراح الحلول والخطوات التنفيذية المطلوبة ومتطلبات النجاح فى التنفيذ والعائد الإيجـــابى على المجتمع ككل نتيجة لذلك.

وهو فى ذلك يضع كل فئات المجتمع أمام مسئولياتها، الأســـرة والمـــدارس والجامعات ووسائل الإعلام المقروءة والمـــسموعة والمرئيـــة ومؤســـسات الدولة بمختلف أنواعها الدينية والخدمية والقانونية والسياسية والـــشبابية، الكل مدان ومدعو فى نفس الوقت لبذل المزيد من الجهد والعمل لإســـتعادة الروح وعودة الانتماء .

ويضع الكتاب خطوطاً كثيرة تحت قضية "التاريخ" وجدوى الإهتمام بتـــدعيم إلمام أبناء الوطن بتاريخهم العظيم وضرورة مراعاة الأمانة العلمية الفائقـــة فى عمليات "التاريخ" والأثر الفائق لذلك فى دعم الشعور بالإنتمـــاء للـــوطن والفخر بمنجزاته والثقة فى القدرة على مواجهة التحديات والـــصعاب كمـــا حدث كثيراً فى الماضى البعيد والقريب ولا يترك الكاتب هذه القضية دون أن يقدم لنا نموذجاً رائعاً من العصر الحديث عايشه بـــشكل شخـــصى كـــضابط

بالقوات البحرية وهى حرب أكتوبر المجيدة ، كيف إستطاعت مصر فى ذلك الوقت تحويل مرارة الهزيمة وسخرية العدو وإنكسار الجيش وإنهيار الروح المعنوية إلى طاقة هائلة وإرادة فولازية يغذيها الشعور الكامل بالإنتماء ورفض الواقع والثقة الكاملة فى القدارت الذاتية وكيف تم ترجمة ذلك إلى خطة عمل كاملة لإستعادة الروح المعنوية والتدريب المتواصل للقوات المسلحة ووضع خطط العبور والخداع الإستراتيجى ثم تنفيذ العبور العظيم وكيفية التغلب على كل المعوقات التى تحول دون ذلك وكيف تحولت مشاعر العالم من الإشفاق والسخرية إلى الإنبهار الشديد وأسمى آيات الإحترام والتقدير.

ولا يتركنا المؤلف عند هذه النقطة إلا بعد أن يجعلنا نعايش أجواء العبور والإنتصار من خلال الوصف المبسط للنقاط الحصينة من خط بارليف وحجم المال والجهد الذى بذل فى إنشائها من أجل أن يكون العبور عملية إنتحارية مستحيلة وكيف إستطاع المقاتل المصرى بإستعادة روح الإنتماء بالتغلب على ذلك ببسالة وإقتدار ويضع المؤلف أمامنا جميعا علامة إستفهام كبيرة تتطلب الإجابة بدون تأخير كيف لم يتم حتى الآن إتخاذ الخطوات الجادة المطلوبة لتوثيق حرب أكتوبر بالأسلوب الذى يناسب هذا الحدث الجلل كأعظم إنتصار مصرى فى العصر الحديث برغم مرور أكثر من 37 عاماً وتساقط العديد من القادة وشهود العيان مع مرور الزمن .

وتشاء قدرة الله ألا يختتم هذا الكتاب إلا بعد أن يقدم لنا شباب مصر الرائع نموذجاً حاضراً على أن الإنتماء لتراب هذا الوطن متواجد تحت السطح ضارب فى الأعماق بجذور بعمق التاريخ ، يتحين الفرصة المناسبة للظهور وتغيير مجرى التاريخ ولقد حانت هذه اللحظة بحلول الخامس والعشرين من يناير وإنطلقت أشعة الضوء الشبابية لتهزم جحافل الظلام و ترفع صوت الحق وتنادى بالتغيير والحرية والعدل والمساواة وحقوق الإنسان ويسقط النظام بعد أن دفع الوطن الثمن غالياً من دماء الشهداء من خيرة شبابه

وتستعيد مصر إحترام العالم أجمع لتبدأ بقوة مرحلة جديدة من النمو والبناء وإستعادة الإنتماء.

أ.د. يسرى صابر الجمل
وزير التربية والتعليم الاسبق
رئيس مجلس أمناء الجامعة المصرية اليابانية



عقب صدور اخر مؤلفاتي في يناير ٢٠١٠ عن "تحليل غرق العبارة السلام ٩٨ والدروس المستفادة".

كانت هناك ظاهرة تثير مشاعري ومخاوفي معاً، هذه الظاهرة هي عدم المبالاة، الاستهتار، الاتكالية، عدم المحافظة على المال العام، ... وكنت أود معرفة الأسباب، فوجدتها تنحصر في كلمة واحدة وهي "الانتماء" بكل معانية، الانتماء إلى الأسرة، إلى المدرسة إلى المجتمع إلى الوطن.

بدأت أبحث أين ذهب الانتماء المصري، وكيف يمكن استعادته فكانت فكرة هذا الكتاب وعندما قاربت على الانتهاء من الفصل الأخير، تفجرت ثورة شباب ٢٥ يناير، وتفجر معها أصالة هذا الشعب مما جعلني أضيف فصل عن هذه الثورة.

ارجو أن أكون قد وفقت في تحقيق هدفي من هذا الكتاب.

المؤلف
١٠ فبراير ٢٠١١

الفصل الأول

أين الانتماء المصري ؟ ولماذا فقدناه ؟

الفصل الأول

أين الانتماء المصري ؟ ولماذا فقدناه ؟

تعريف الانتماء

الانتماء[1] هو "علاقة الفرد بالمحيط الذي ينتسب إليه وإحساسه بانه جزء من وحدة عضوية متكاملة"، وهناك من يُعرفه بانه ،اتجاه إيجابي مدعم بالحب يستشعره الفرد تجاه وطنه باعتباره عضواً فيه ويشعر نحوه بالفخر والولاء ويكون منشغلاً ومهموماً بقضاياه، ويكون على وعي وإدراك بمشاكله، ومحافظاً على ثرواته ومصالحه، ولا يتخلى عنه في الأزمات.

الانتماء حقيقة إنسانية تولد مع الطفل حيث يرتبط بامه ويستمد منها الحب والحنان فيكون بداية الانتماء الذي ينمو تدريجياً مع نمو مداركه حيث يكون انتماء الطفل لأسرته الموجودة بالمنزل ثم لباقي عائلته، ومع كل مرحلته من مراحل عمره يزداد انتمائه حتى يصل لقمة الانتماء بحبه لوطنه.

أبعاد الانتماء

يحتوي تعريف الانتماء على عدة ابعاد اهمها:

---

(١) محمود المداح (٢٠٠٠). "في الانتماء لمصر": دار امادو للنشر، ص١٦٢.

أ – الهوية[1]: لها تعريفات كثيرة من التراث العربي فالجرجاوي يُعرفها بأنها «الأمر المتعلق من حيث الامتياز عن الغير». وعند ابن رشيد «تقال الترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود»، وعند الفارابي أن «هوية الشيء عينته وتشخصه خصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك».
أما فلسفة الهوية هي كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح ولا بين الذات والموضوع وتنظر إليهما على أنها واحدة لا تنفصل.
فالهوية هي الرمز الذي يجمع عليه كل المجتمع من حيث الولاء والانتساب والاعتزاز.
والهوية بتعريفاتها السابقة تقارب الوطنية التي معناها حب الوطن والولاء له، أي أنها عاطفة تجاه الوطن من حب صادق للأرض والشعب والتراث والحضارة والقوانين والتقاليد والعمل على حمايته، والدفاع عنه، والعمل على تقدمه.
ب– الجماعة: والمقصود بها أن لا يعمل كل فرد دون رابطة مع باقي أفراد المجتمع، وإن دعته الضرورة للمفاضلة بين مصالحة ومصلحة الجماعة، فلتكن مصلحة الجماعة أولاً، وأن يكون التعاون أساس العمل الذي يؤدي لنمو الانتماء لديهم.
جـ– الولاء: هو الشعور بالحب والإخلاص والطاعة للمجتمع الذي ينتسب الفرد له.

(١) محمود محمد كسبر (١٩٩٥). "الهوية والانتماء القومي في مصر": التركي للطباعة، طنطا، ص١٠.

د- الالتزام: هو التمسك بالقيم والتقاليد الاجتماعية واحترامها.

هـ- الديمقراطية: عندما تسود الديمقراطية في المجتمع يشعر الفرد بذاته وقدراته وإمكاناته ويشعر بالاحترام المتبادل للرأي والرأي الآخر ويتقبل النقد البناء.

الأسباب التي تؤدي إلى عدم الانتماء

يفقد الإنسان انتماؤه عندما يكون هناك ظلم اجتماعي يؤدي لحرمان المواطن من الحد الأدنى من متطلبات الحياة، وفي المقابل يجد من يحصل على أكثر من حقه، أيضاً يفقد الانتماء عندما تكون الحياة السياسية والاقتصادية في تدهور، مما يؤدي بالتبعية لتدهور باقي المجالات ويتفشى الفساد، وتزداد الفوارق بشدة بين طبقة تحكم وتملك وطبقة لا تملك. ماذا يكون حال الانتماء لشعب لا يجد شبابه عملاً لائقاً وسكناً مناسباً ولا إمكانية مادية تعينه لمجابهة متطلبات الحياة الإنسانية، ولا علاجاً مناسباً عند تعرضه لأزمات صحية ولا طرق تضمن سلامته، ولا مواصلات آدمية ولا أحد يسمعه. الانتماء قبل أن تكون كلمة فهي رد فعل الإنسان لفعل قامت به كل أجهزة الدولة.

ماذا يترتب عندما يصاب مجتمع بمرض عدم الانتماء

عندما يصاب مجتمع ما بداء عدم الانتماء تسود الأنانية والسلبية واللامبالاة وعدم الالتزام بالقوانين بل القيم أيضاً، وتكون ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي هي الظاهرة السائدة

بل يتعرض المجتمع للعديد من الأزمات، وتظهر فئات الانتهازية التي تسعى للكسب السريع بطرق غير مشروعة، ويـزداد النفاق والمظهرية.

تسلسل الانتماء

الانتماء عبارة عن سلسلة مترابطة تبدأ من الأسرة ثم المدرسة والجامعة ثم وسائل الإعلام يليها مؤسسات الدولة وتنتهي بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية، ولا يمكن فصل حلقة عن أخرى، إنما هي منظومة متكاملة تؤدي إلى الانتماء التلقائي، والخلل في أي جزء من هذه السلسلة يؤدي انهيارها بالكامل، وسيتم تناول كل جزء من السلسلة على حدة.

أولاً – الأسرة

الركيزة الأولى لأي مجتمع وهي حجر الزاوية الذي يبدا به المجتمع السوي، فالأسرة هي المصدر الأول الذي يحصل الطفل منه على مشاعر الانتماء بدءاً من التصاقة بصدر أمه للرضاعة وشعوره بالأمان ونهاية بانتقاله إلى مرحلة أخرى بدخوله للمدرسة.

فإن لم تكن الأسرة مستقرة ومترابطة العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية لا يمكن للطفل اكتساب ابسط مبادئ الانتماء يؤكد العلم بأن شخصية كل شخص منا تتشكل في السنوات الثلاثة الأولى من العمر ومن هنا نجد أن البيئة التي ينشأ فيها الطفل إن لم تكن بيئة صالحة لا يكون الطفل سوياً عندما يصبح رجلاً والأمثلة على ذلك كثيرة: الأب الذي ينكر وجوده امام أطفاله او

الذي يتعدى على زوجته بالقول او بالفعل، ففي دراسة قام بها مركز «سوزان مبارك لصحة وتنمية المرأة بالإسكندرية بالتعاون مع مؤسسة فورد الأمريكية تمت عام ٢٠١٠، ان ٧٥٪ من زوجات مدينة الإسكندرية يتعرضن للعنف (جسدي، جنسي، نفسي) وهذا العنف يؤدي لخلخلة سلسلة الانتماء في اول حلقاتها وهي الأسرة.

ايضاً هناك ضرورة ان يشعر الطفل بحب الأسرة له والعناية به دون تمييز عن باقي اخواته، ينشأ ذلك الطفل في بيئة سوية ويكتسب القيم التي تؤهله أن يكون واحداً في مجموعة تعمل لهدف واحد وان يتحمل المسؤولية منذ طفولته، ويكون ذلك بتوجيه من الأب والأم معاً بإرشادات من خلال الجلوس معه ومشاركته في الألعاب الجديدة التي ظهرت على شبكة المعلومات والدخول معه ومع اصدقائه فيما يسمى «الفيس بوك» ويستمر ذلك الإشراف حتى يصبح الطفل قادراً على التمييز بين الخطأ والصحيح.

والسؤال هنا كيف يمكن تحقيق ما سبق وهناك تفكك أسري وهي ظاهرة اقتحمت الأسرة المصرية حديثاً بسبب انخفاض دخل رب الأسرة مما دفعه للبحث عن عمل آخر في الفترة المسائية فاصبح متغيباً عن اسرته طوال النهار، واصبح الضحية في ذلك هم الأبناء الذين يفتقدون الروابط الأسرية والرقابة مما يؤدي لظواهر لم تكن موجودة في مجتمعنا المصري مثل إدمان الشباب، حيث ذكر وزير الصحة المصري بجريدة الأهرام الصادرة في ٣ يولية عام ٢٠٠٨ ان من كل مائة شاب هناك ستة عشر يستخدمون المخدرات!! وان هذه النسبة في زيادة مستمرة طبقاً لمصادر رصدها، والسؤال المنطقي

الذي يتبادر للأذهان: كيف في ظل البطالة وانخفاض دخل الأسرة يزيد الإدمان؟

الإجابة بسيطة وواضحة من الآتي:

- زيادة معدلات الجريمة وحالات الغضب بشتى أنواعه.
- ان شركات الأدوية في سباق لإنتاج عقاقير الإدمان بأسعار زهيدة لتحقيق أرباح دون وازع من الضمير.
- زيادة حالات التسرب من التعليم.
- أطفال الشوارع المتزايد أعدادهم بصورة تدعو للأسف.

وساضع أمام القارئ بعض الأرقام التي تؤكد ما وصل إليه حال الأسرة المصرية.

- ٢١,٦٪ من إجمالي سكان مصر (أي حوالي ٢٧ مليون مواطن) يعيشون تحت مستوى خط الفقر المقدر بدولارين يومياً للفرد وهناك من يؤكد ان النسبة أكثر من ذلك وتصل إلى ٤٥٪ وتعيش بأقل من دولار واحد للفرد يومياً[١]، وفي تقرير صندوق النقد الدولي للتنمية الزراعية فيذكر ان هناك ٤٨ مليون مصري فقير، وفي تقرير آخر عن «التحديات التنموية الرئيسية التي تواجه مصر وشارك فيه ٧٧ خبيراً متخصصاً وطنياً، وثلاث خبراء أجانب بهدف عرضه على مجلس الوزراء ويقع في ١٤٠ صفحة، وبهذا التقرير ما يفيد أن من يعيشون تحت خط الفقر استقر عند ٢٠٪ من تعداد مصر.

---

(١) تقرير الأمم المتحدة للتنمية الإدارية لعام ٢٠٠٩.

- اصبح الحصول على مسكن مناسب او غير مناسب من الأمور المستحيلة، هل يعقل أن يصل سعر متر المباني في المناطق الشعبية إلى ثلاثة آلاف جنيه!! اي متوسط سعر شقة لا تتعدى ثمانون متراً وتباع على أنها مائة متر بسعر ٣٠٠ الف جنيه! اين الشاب أو رب الأسرة الذي يملك هذا المبلغ؟ والنتيجة:
    - ◆ ظهور المناطق العشوائية والتي يقدر صندوق النقد الدولي للتنمية الزراعية بأن عددها بمصر وصل ١١٠٩ منطقة.
    - ◆ التعدي على الأرض الزراعية بالبناء عليها مخالفاً للقوانين.
    - ◆ أن هناك ١٢ مليون مصري دون مأوى منهم المليون ونصف المليون يعيشون في المقابر[١].
    - ◆ وجود ٩ مليون شاب وشابة تخطوا سن الـ ٣٥ عاماً دون زواج، اي بمعدل عنوسة ١٧٪، والذي أدى بدوره لظهور ظاهرة لم تكن موجودة بالمجتمع المصري وهي الزواج العرفي الذي وصل إلى ٢٥٥ الف حالة ونتج عنها ١٤ الف طفل مجهول النسب.[٢]
- أصبح الحصول على وظيفة سواء لمساعدة الأسرة أو الزواج من الأمور العسيرة بدليل وجود ١٠ ملايين عاطل بين سن الـ ١٥–٢٩ اي بنسبة تصل إلى ٢٢٪ من إجمالي قوة العمل،

---

(١) تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء لسنة ٢٠٠٩.

(٢) المصدر السابق.

مما ادى لحصول مصر على المركز الأخير من بين ١٣٤ دولة في مؤشر سوق العمل، والمركز ١٣٩ في معدل هجرة العقول الموهوبة والمركز ١٢٥ في مؤشر استقرار الاقتصاد الكلي.[١]

- هناك ٧ ملايين طفل محرمون من احد الحقوق الأساسية السبعة وهي الصحة والمياه والصرف الصحي والتعليم والتغذية والمعلومات والمأوى، حيث اظهرت الإحصائيات أن نسبة ١٤,٨٪ من الأطفال يعيشون في ظروف غير ملائمة.[٢]

ما تم الإشارة إليه جزء من كل ما ادى إلى تفكك الأسرة المصرية ووصولها إلى ما نلمسه من حصولها على المركز الأول في حالات الطلاق على مستوى الدول العربية، وادى بالتالي لفقد روح الانتماء مع انه شعب عريق ذو حضارة تمتد لأعماق التاريخ.

مقترحات لعودة الانتماء للأسرة المصرية

هناك العديد من الدراسات لدى المؤسسات المعنية يمكن الاستفادة منها علاوة على الآتي:

- عقد دورات تثقيفية للمقبلين على الزواج للوقوف على الثقافة الجنسية، والتي للأسف لا يعلمون عنها شيئاً نظراً لقصر نظر المسؤولين عن التعليم او إن صح القول طبيعة المجتمع الشرقي المنغلق والذي يحرم هذا النوع من المعلومات

---

(١) تقرير التنافسية العالمية لعام ٢٠٠٨: ٢٠٠٩.

(٢) دراسة صادرة من مركز للعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء عام ٢٠١٠.

مع أن تلك المعلومات يتم تدريسها بالخارج لطلبة المرحلة الإعدادية أو المساوية لهذه المرحلة.

- كما يجب على المقبلين على الزواج بل وإلزامهم بعمل فحوصات طبية وعلى المسؤولين المسند إليهم بإتمام الزواج بعدم عقد أي قران بدون هذه الشهادة على أن يكون مصدر الحصول عليها موثوق فيه ومعتمد، والهدف من ذلك تجنب ولادة طفل مشوه وتتحول حياة الأسرة لجحيم بعد ذلك.

- ضرورة توفير المرتبات المناسبة التي تكمن رب الأسرة من الوفاء بالتزامات أسرته دون السعي للعمل فترات مسائية، مما يؤدي لوجوده بالمنزل بين أسرته حتى يستطيع متابعة هذه الأسرة وغرس القيم التي تؤهلهم ليكونوا رجال المستقبل.

- تركيز وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية التي تتبع الحكومة على مخاطر الإدمان وكيف يبدأ وكيف يمكن الابتعاد عنه.

- ضرورة تدخل الدولة في السيطرة على الانفلات في أسعار الشقق التي وصلت لأسعار لا يستطيع معظم الشعب توفيرها بطرق مشروعة فليس من المعقول أن مساحة مصر تبلغ مليون كيلومتر مربع والمساحة المأهولة منها لا تتعدى الـ ٤٪ فقط! المطلوب مد المرافق والطرق والبنية التحتية لهذه المساحات وفتح مشاريع استثمارية بها حتى تستطيع معظم مدن مصر من التنفس، ويجد الشباب العاطل فرص للعمل

بهذه المناطق بجانب فرص السكن، وفي نفس الوقت سوف تنخفض نسبة العنوسة بالبلد.

- أن يراعى الأبوين أنهم القدوة لأبنائهم في المراحل العمرية الأولى، فيجب أن يكونوا على مستوى هذه المسؤولية أمام أطفالهم.

ثانياً- المدارس والجامعات

الحلقة الثانية التي تأتي بعد الأسرة مباشرة في تحقيق الانتماء من عدمه، حيث تبدأ هذه الحلقة في بداية مراحل التعليم الأولية وتستمر في الجامعات وحتى مرحلة الدراسات العليا، وللأسف نجد أن موضوع الانتماء غير ملتفت إليه، فبمجرد نظرة لجميع مقررات السنوات الدراسية سنجد أن الأجـزاء التي سمح بها لتنمية روح الانتماء أجزاء تكاد تكون مهمشة ولا تهدف بأي حال من الأحوال خلق وتنمية الانتماء.

وايضاً البيئة المدرسية لا تسمح بالتفاعل الاجتماعي بين المدرسين والطلبة، حيث نادراً ما يكون هناك لقاءات دورية في ندوات ومحاضرات بعيدة عن المقررات، والأمر ليس من الصعوبة التي يتخيلها البعض فليس بكثرة المقررات أو ساعات تدريسها سوف تخرج عباقرة بل الأمر ثبت فشله، ولننظر للدول التي تقدمت وندرس ماذا فعلت.

وهناك امر آخر تم إهماله تماماً وهو الأنشطة المدرسية الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية والترفيهية، إن الهدف من هذه الأنشطة هو تكوين الشخصية المتكاملة حيث يكتسب الطلبة من خلال هذه الأنشطة مفهوم العمل الجماعي.

ما أصاب المدارس الآن من تكدس أعداد الطلبة وانكماش مساحات الملاعب التي كانت بها وإهمال كافة الأنشطة التي تساعد على وجود شخصية متكاملة، والاهتمام فقط بالحفظ للحصول على المجموع المؤهل لكليات القمة، كل هذا أدى لفقد روح الانتماء والظاهر أن مسؤولي التعليم تناسو أن التعليم يهدف لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية هي:

الأول: التزود بالمهارات والمعارف التي ترفع مستوى التلاميذ والطلبة.

الثاني: زيادة التماسك الوطني بين أفراد المجتمع الواحد بالرغم من الفوارق الاجتماعية، المالية، الدينية، الوظيفية لولي الأمر، ... فالتعليم منظومة قومية تجمع شمل ابنائها ليكونوا نسيجاً واحداً، ويتعلموا السماحة واحترام عقائد الآخرين بهدف بناء أمة متماسكة، وربما يكون ذلك هو ما دفع الحكومة المصرية لإصدار القانون رقم ١٦٠ لسنة ١٩٥٨ الذي أكد حق الدولة في الإشراف الكامل على التعليم الأجنبي الخاص.

الثالث: تنمية مشاعر الانتماء وحب الوطن، والأمثلة عديدة لذلك ولكني سأكتفي بعرض حالة مقارنة واحدة بين تلاميذ المدارس الحكومية وتلاميذ المدارس الخاصة.

نجد فارق كبير في نظافة الفصول والمعامل وحالة المقاعد مع أن المدرستين ربما يكونان متجاورتين.

انظر لحظة خروج تلاميذ المدارس الحكومية، نجدهم فرحين

كأنهم في سجن وأطلق سراحهم، بل نجدهم يتسلقون أسوار المدرسة للهروب منها!!

أما مدارس اللغات نجدها على النقيض فالطلبة يحبون مدارسهم ولا يسيئوا التعامل مع أجهزتها ومعاملها ونظافتها بل بعد تخرجهم يظلوا على صلة بالمدرسة وفي كل مناسبة نجدهم حاضرون بالرغم من مشاغلهم ومشغولياتهم.

إذن لماذا انصب اهتمام المسؤولين على التعليم على تنفيذ البند الأول فقط من مهام العملية التعليمية، وتم تجاهل البندين الثاني والثالث؟

ويا ليت أن يكون البند الأول قد تحقق فبالرغم من أن أول قانون لمحو الأمية صدر عام ١٩٤٤ إلا أن نسبة الأمية في زيادة مستمرة!!

مقترحات لعودة الانتماء في مراحل التعليم المختلفة

- تبدأ هذه المقترحات في اليوم الأول المدرسي فبدلاً من أن يكون الاهتمام الأول والأخير لإدارة المدرسة بتوزيع الطلبة على الفصول الدراسية، وتسليم الزي المدرسي والكتب، يجب أن تكون الحصة الأولى من الدراسة عن اسم هذه المدرسة وماذا قدم صاحب هذا الاسم لوطنه ويفضل أن يطبع ذلك في كتيب ويوزع على الطلبة ويكون بسعر رمزي أو يمول من تبرعات رجال الأعمال أو أولياء أمور الطلبة أو أعضاء مجلس الشعب عن هذه الدائرة.

- إعادة فحص ودراسة جميع المقررات الدراسية بواسطة المتخصصين لحذف ما هو يعتمد على الحفظ وإعطاء فرصة لعقل الطالب في التفكير والأمر ليس من الصعوبة فهناك عشرات الدول لها تجارب في هذه الجزئية يمكن الاستفادة من تجاربها.
- تنقية المقررات الدراسية من الموضوعات التي تزيد الفجوة بين أبناء الوطن الواحد.
- اهتمام إدارة المدرسة بوجود مناخ ديمقراطي وذلك من خلال الندوات الثقافية ومناقشة الآراء المختلفة وتقبل الآراء الأخرى بروح رياضية.
- اهتمام المدرسين بمظهرهم العام واختيار الألفاظ المناسبة في تعاملهم مع الطلبة، وان يكونوا على المستوى العلمي الذي يؤثر في الطالب، حيث يصبح المعلم هو القدوة في هذه المرحلة العمرية، ولا يترك في نفوسهم آثاراً سلبية تظل عالقة باذهانهم بل يجب أن يعطيهم الصورة التي يتمن ان يراهم عليها في المستقبل مثل الصدق، والاحترام المتبادل، النقاش الحر، والقيادة السليمة.
- ضرورة عودة الانشطة المدرسية (رياضية، اجتماعية، فنية، ثقافية، ترفيهية) لأن الهدف من هذه الأنشطة هو تكوين الشخصية المتكاملة ومن خلالها يكتسب الطلبة مفهوم العمل الجماعي وهو صورة من صور الانتماء.

- عودة الاحتفال بيوم الخريجين لكي يشعر الطلبة الموجودين بالدراسة أن هناك شخصيات مرموقة تخرجت من هذه المدرسة مما يعطيهم الدافع لاستكمال المسيرة، وفي نفس الوقت يشعر الخريج بالانتماء لهذه المدرسة.
- عودة الرحلات الإجبارية لطلبة المدارس الثانوية لزيارة آثار مصر الفرعونية ويضاف إليها رحلات لزيارة خط بارليف على الشاطئ الشرقي لقناة السويس لكي يكونوا على معرفة بالعمل البطولي الذي قام به ابناء هذا الوطن في تحطيمة بعد عبور قناة السويس، على أن يدعم المجلس الأعلى للشباب هذه الرحلات.

ثالثاً- وسائل الإعلام

لعبت وسائل الإعلام دوراً هاماً في تسطيح كل شيء فتدنى الذوق العام، واقتصر اهتمام الشعب على توفير أساسيات الحياة فجنت مصر التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي والصحي، فوسائل الإعلام هي مصدر هام من المصادر التي تشكل وعي المواطن وتزيد من مداركه أو العكس حيث يمكن أن تؤدي للإحباط واللامبالاة ومن ثم عدم الولاء للمجتمع والوطن والأمثلة على ذلك:

الصحافة

بنظرة ليست بفاحصة وإنما بنظرة عابرة للمنشور بالصحافة المصرية سواء الحكومية أو الحزبية أو الخاصة نجدها تسلط الأضواء

على الأمور الشخصية لأهل الفن والكورة من زواج وطلاق، والأجور التي يطالبون بها سواء للأفلام أو المسلسلات أو الحفلات.

ماذا ننتظر من تاثير تلك الأخبار على روح الانتماء لشعب يصارع يومياً لأجل لقمة العيش!!

كما تنشر الصحف جرائم لشخصيات مرموقة ممن استولوا على أراضي الشعب بطرق غير مشروعة تحت مسميات مختلفة استصلاح للزراعة، إسكان اقتصادي، شعبي، إسكان شباب، ثم تتحول لمنتجعات سياحية تباع بأسعار خيالية.

كما تنشر الصحافة عمليات غسيل الأموال وتجارة المخدرات والسلاح والاستيلاء على أموال البنوك، استيراد مواد غذائية غير صالحة للاستخدام الآدمي، وغيرها من الطرق التي تحقق مكاسب طائلة دون عناء، ثم يفاجئ المجتمع بأن ملفات التحقيق أغلقت وتم براءة المتهمين، وعلى سبيل المثال وليس الحصر لدينا ٣٩ مليار و٣٧٣ مليوناً و٥٢٤ الف جنيه أموالاً و٣٧٠٤٤١ فداناً دارت حولها اطيار الفساد المالي والإداري والإهمال وإهدار المال العام في الفترة من ٢٠٠٨-٢٠٠٩.[١]

النتيجة المنطقية لهذه الأخبار أن يفقد المواطن الثقة بأجهزة الدولة ومن ثم يفقد انتماؤه.

---

(١) تقرير مركز الدراسات الريفية منشور بجريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٦.

الإعلام المرئي

ماذا حدث للتليفزيون المصري بقنواته الحكومية والخاصة؟ هل هو أداة للتثقيف وإرساء القيم، أم اداة لتسطيح العقول؟ نفس الشيء للأفلام التي يتم عرضها ماهو الهدف منها؟ وما هذا الكم من المسلسلات وكلها عن الجريمة والإدمان والتحرش الجنسي وأطفال الشوارع ومباريات الكرة وافلام العنف... إن هذه الأعمال تصيب الإنسان الطبيعي بالتخلف والإحباط والاكتئاب، وهذا ما وصل إليه حال الشعب المصري، حيث ذكر الدكتور/ أحمد عكاشة عالم الطب النفسي أن هناك ٣٠ مليون مصري مرضى بالاكتئاب منهم مليون ونصف مليون مرضى بالاكتئاب الجسيم بينهم ١٥٪ يلجاون إلى الانتحار[1] وان مصر تحتل المركز ٥٧ من بين ٦٠ دولة في تقرير البؤس العالمي.[2]

كيف يكون هناك انتماء للشعب المصري ومعظمهم بل وكلهم لم يروا عملاً واحداً لأعظم حرب خاضتها مصر في كل عصورها القديم والحديث وهي حرب اكتوبر ١٩٧٣ والتي مضى عليها اكثر من ٣٧ عاماً.

يكفي نظرة للمسلسلات التي عرضها التليفزيون المصري في رمضان عام ٢٠١٠ حيث تم عرض ٥٥ مسلسلاً بتكلفة قدرها البعض

---

(١) احمد عكاشة في ندوة منشورة بجريدة المصري اليوم الصادرة في ٢٠٠٩/٩/٢٨.

(٢) مؤشر بلومبرج لعام ٢٠١٠.

بـ ٧٥٠ مليون جنيه وهناك من يؤكد انها وصلت إلى ٢ مليار جنيه!! والسؤال هنا ما هو مردود كل هذه الأعمال؟

لا يمكن إنكار أن القليل منها يمكن احترامه اما البقية !!

لماذا لا ترقى الأعمال ليكون هدفها له مردود وطني أو اجتماعي او ثقافي او علمي.

نفس الشيء منطبق على السينما فمعظم ما يقدم لا يزيد من كونه عمل تجاري لتحقيق مكسب رخيص وللقابل تفكك مجتمع وانهيار قيمة ومبادئه، لأن الشباب يعتبرون ابطال هذه الأعمال هم قدوة لهم، هل فرغت جعبة مؤلفي هذه الأعمال من تاليف أعمال راقية ترفع من شان للواطن العادي وفكره؟

لماذا لا تكون هناك برامج هادفة لتعليم الأطفال السلوك السوي وأن المحافظة على مرافق الدولة مردودها يعود إليه بدلاً من تدميرها؟ ونفس الشيء للكبار.

لماذا لا تكون هناك برامج صحية مبسطة لتجنب الأمراض التي تنهش أجساد للصريين مثل أمراض الكبد الوبائية التي تشير الإحصائيات أن مصر بها ٩ ملايين مصاب وهي أعلى نسبة على مستوى العالم، او مرض السرطان الذي وصل عدد المصابين به ٤ ملايين ويزداد العدد سنوياً ١٠٠ الف حالة، ومرضى السكر يزيدون عن ٤ ملايين، ومرضى القلب يزيدون عن ٥ ملايين بخلاف ٤ ملايين مرضى كلى.[١]

---

(١) جريدة المصري اليوم، ارقام وارقام الصادرة في ٢٠١٠/١٢/٣٠.

لماذا لا تكون هناك برامج تدعو للتسامح الديني وتقبل رأي الآخر بدلاً من يطل علينا الإرهاب في كل مناسبة أخرهم الحادث الذي وقع في الإسكندرية ليلة رأس السنة الميلادية ٢٠١١/١/١ بكنيسة القديسين وراح ضحيته ٢٤ قتيلاً، ٩٥ جريحاً، ما ذنب هؤلاء الأبرياء الذين آثروا أن يتعبدوا في هذه المناسبة بدلاً من الذهاب لأماكن اللهو، أيهما أفضل العبادة أم أماكن اللهو؟ أين الثقافة التي يتبعها الإعلام لتلافي الاحتقان الطائفي الذي سيؤدي إلى نتائج لا يعلمها إلا الله وحده.

لماذا لا يكون المبدأ «الدين لله والوطن للجميع».

لماذا لا تعرض وسائل الإعلام أعمالاً تذكر الشعب بتاريخه العظيم وأعماله البطولية.

إن عرض هذه الأعمال سيكون لها مردود أفضل على كل المواطنين.

إن كل الأعمال التي حاولت الاقتراب من حرب أكتوبر ١٩٧٣ نجدها اقتصرت على نوعيين من الأعمال هما الجاسوسية والمخابرات، بينما خطط المعارك والبطولات فللأسف وبعد مضي أكثر من ٣٧ عاماً لم يعرض عمل يليق بهذه الحرب، ففي عام ١٩٧٤ أنتج فيلم «الرصاصة لاتزال في جيبي» قصة الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس. والذي يعرض علينا كل عام في ذكرى الحرب، وفي نفس العام أنتج فيلم «بدور» إخراج نادر جلال، فيلم «أبناء الصمت» قصة مجيد طوبيا وإخراج محمد راضي، فيلم «حتى أخر العمر» قصة يوسف السباعي وإخراج أشرف فهمي.

وفي عام ١٩٧٦ أنتج فيلم «الصعود إلى الهاوية» تلاه المسلسل التليفزيوني «دموع في عيون وقحة» ثم العمل العظيم «رافت الهجان» ثم «السقوط في بئر سبع» «والعميل (١٠١)» و«الطريق إلى إيلات» و«يوم الكرامة» و«العمر لحظة»، إن كل هذه الأعمال لا يمكن أن تقترب من الحرب الفعلية في أي من مراحلها بدءاً من مراحل الإعداد لها والتخطيط والخداع ثم التنفيذ، إن كل هذه المراحل اصبحت تُدرس في المعاهد العسكرية سواء على المستوى الإقليمي او الدولي.

فهل يعقل ان إسرائيل تقوم بإنتاج ثلاثة افلام عن الحرب بهدف إثبات أنها انتصرت!!

أين مصر بكل ثقلها الثقافي والتاريخي والحضاري؟

مصر اول دولة في المنطقة ادخلت صناعة السينما إليها. هل الجماهيرية الليبية كانت اكثر إدراكاً عندما انتجت فيلماً عن المناضل البطل «عمر المختار» باسم «أسد الصحراء» المولود في قرية جنزور الشرقية بمنطقة بئر الأشهب شرق مدينة طبرق في ٢٠ اغسطس عام ١٨٦١ وقد تم إعدامه شنقاً صباح يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ قام بتجسيد شخصية المناضل عمر المختار الفنان العالمي «أنتوني كوين» هل فرنسا عندما انتجت فيلماً عام ١٩٦٤ للإشادة ببعض الفدائيين المدنيين الذين قاموا بمنع الألمان اثناء الحرب العالمية الثانية من تهريب محتويات احد المتاحف الفرنسية بواسطة القطار لإرسالها إلى المانيا، من يشاهد هذا الفيلم الآن وقد سُميَ «القطار» ومضى عليه اكثر من ٤٦ عاماً، سيشعر بالفخر تجاه هؤلاء الفدائيين الذين لم

يكونوا على علم بقيمة هذا التراث ولا يعرفون اللوحات ولم يروها من قبل، ولكنهم كانو على علم بأنها تراث فرنسي ولا يجب خروجها من بلادهم، وبهذا الاقتناع الوطني بداوا في عمل خطة لتغيير مسار القطار حتى لا يصل إلى ألمانيا، وينجحون في النهاية، لقد قام الممثل العالمي ،برت لانكستر، ببطولة هذا الفيلم وشاركه بول سكوفيلد وجان مورو، الفيلم في مضمونه يحمل حس وطني عميق علينا جميعاً أن نرسخ في اولادنا الإطلاع على التاريخ سواء بالمشاهدة للأفلام أو التطلع إلى شبكة المعلومات العالمية –الموسوعة الخاصة بالمعلومات:

www.wikipedia.org

Films made during the war

حيث هناك أكثر من خمس وثمانين صفحة كل صفحة تحتوي على أكثر من خمسة عشر فيلماً لبطولات الحرب العالمية الثانية والتي نالت تقدير كل من شاهدها، بل أستطيع أن أوكد أنها مازالت قادرة حتى الآن على إثارة مشاعر الولاء والانتماء والفخر لكل من يشاهدنا اليوم، على سبيل المثال (نضال الأبطال، أطول يوم في التاريخ، دستة أشرار، مدافع نافارين، غزو نورماندي، بيرل هاربر، الهروب الكبير، إنقاذ ريان، الخط الأحمر الرفيع، العدو على الأبواب، الهروب إلى النصر، إغراق بسمارك)، والعديد من الأفلام التي لا يتسع المجال لذكرها.

مقترحات لعودة الانتماء لوسائل الإعلام

ان ترك وسائل الإعلام تعبث بالشعب دون ضابط لآدائها أمر يرفضه اي وطني محب لبلاده، ولذا يقترح أن تكون هناك لجنة مشتركة لتقييم الأعمال سواء الصحفية أو المرئية والإذاعية ليس بهدف تقييد حركة هذه الوسائل او الرقابة عليها، إنما يكون الهدف هو تنقية اداء هذه الوسائل لترقى لمستوى الدول المتقدمة لزيادة الوعي والمعرفة وليس لزيادة التسطيح والتخلف، ويقترح أن تتكون اللجنة من:

- وزارة الإعلام.
- وزارة الثقافة.
- النقابات ذات الصلة (الصحفيين، الإذاعيين، السينمائيين).
- لجان الثقافة والإعلام بمجلسي الشعب والشورى وكليات الإعلام.
- نخبة من الكتاب والمفكرين وأساتذة الجامعات المتخصصين.

رابعاً مؤسسات الدولة

وهي المؤسسات التي يتعامل معها المواطن مباشرة وهي مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تنمية أو فقد انتماء الشعب للدولة ونتيجة مباشرة لتردي حال هذه المؤسسات حدث انهيار حاد لانتماء المواطن المصري منذ سنوات حيث يظهر ذلك في حالات اللامبالاة والاستهتار

بكل شيء حتى المبادئ والقيم والمثل اصبح لا مكان لها على أرض الواقع واصبح مبدأ البقاء للأقوى وليس للأصلح وهو مبدأ الغابات وليس البشر.

لقد حاولت بعض أجهزة الإعلام التأكيد على قيمة الانتماء خلال السنوات الماضية ونظراً لعدم مصداقية القائمين على تلك الدعوة سواء أمام أنفسهم أو أمام الشعب ذهبت دعوتهم مع الريح.

فكما يقول أستاذ علم النفس الدكتور/ هاشم عادل صادق ،أن الانتماء هو إحساس فكري غريزي لدى الإنسان، وبالأخص الإنسان السوي نفسياً الذي لا يعاني من اضطراب في حالته الوجدانية بل يميل إلى الانتماء بطبعه، فمثلاً إذا عاد الإنسان إلى بيته شعر أنه عاد لمكانه الطبيعي الذي ينتمي إليه، فهناك شعور بالارتباط بينه وبين المكان الذي أصبح جزءاً منه، وإذا عاد الإنسان لوطنه بعد غياب أو فترة اغتراب يشعر بأنه اكتمل توازنه النفسي، ومن الطبيعي أن يشعر الإنسان بالانتماء لوطنه، فالوطن يمثل الأصل الإنسان وماضيه وحاضره ومستقبله –الوطن يحمل معنى المكان والزمان معاً بما فيه من استقرار، ولذلك فالإنسان الذي يحب وطنه يحب ذاته والذي يحب ذاته يحب وطنه، لأن الانتماء يجعل الوطن والذات غير منفصلين.

ولكن عندما يتعرض المواطن في وطنه لإهمال في متطلبات حياته اليومية، بل يناضل من أجل الوصول لحق من حقوقه التي كفلها له الدستور... ماذا تكون النتيجة؟

في هذه الحالة تنفصل احاسيس هذا المواطن عن وطنه ولايشعر بالانتماء ويصاب بحالة من حالات التبلد الوجداني وتصبح شخصيته عدوانية أو إجرامية وقد تصل حالة التبلد الوجداني ان يعمل جاسوس ضد بلده وهذا ما حدث مع الجاسوس الذي ضبط مؤخراً والذي طلب بنفسه أن يعمل جاسوساً ضد بلاده وتم اكتشاف امره في نهاية عام ٢٠١٠.

وبالرغم من أن هناك العديد من مؤسسات الدولة المسؤولة أو التي يمكن سؤالها عن الانتماء، ولكن سيتم إلقاء الضوء على أهمها وهي:

- المؤسسات الدينية.
- المؤسسات الخدمية.
- المؤسسات القانونية.
- المؤسسات السياسية.
- المؤسسات الشبابية.

أ – المؤسسات الدينية

بالرغم من أن رسالتها الأساسية دينية والتي تتضمن تعميق روح الانتماء وحب الوطن، فنجد بعضها يقوم بتعميق الفجوة بين أبناء الوطن الواحد، وأصبح البديل هو الانتماء لبعض التعاليم التي لا صلة لها بالدين وإن أهدافها سياسية قبل الدينية، والذي يساعدها على ذلك هو الحالة الاجتماعية والثقافية والعلمية والصحية والنفسية المهيئة لذلك.

لا يوجد خلاف على أن للتربية الروحية تأثيرها في تنمية الانتماء لدى أفراد الوطن الواحد، إلا أن المشكلة الآن نظراً لظروف البلد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية ابتعد الخطاب الديني عن غايته[1] وإن الشباب الذي يذهب إلى دور العبادة يجد الدعاة ينقسمون إلى نوعين:

الأول: مخلص للدعوة ويركز على الأمور التي أوصى بها الدين من التحلي بالخلق النبيل والسلوك الحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى الاعتزاز بالوطن ومكارم الأخلاق.

الثاني: يعرض مشاكل المجتمع ويسارع إلى التجهيل والتحريم بل والتكفير، ويقدم ما يحلو له من تفسيرات وتأويلات ويترك جوهر الدين.

وفي ضوء هذا الفهم لابد من إدراك أنه لا توجد فواصل بين الدين والحياة... ولا يوجد تناقض بين الإسلام والمواطنة، بل أن الدين يدعو إلى المواطنة، وهو يدعو إلى الاعتزاز للانتماء للوطن دون تكبر أو غرور.

مقترحات لعودة الانتماء للمؤسسات الدينية

يقترح تشكيل لجنة من كبار علماء الدين وعلم النفس والتربية والاجتماع والفلسفة وذلك لوضع خطة منطقية وعلمية لعودة الشعب إلى انتماؤه للوطن وذلك بمشاركة الجهات المعنية بنفس الهدف.

---

(١) عبد الله بلال (١٩٩٧). "انتماء أم اغتراب": دار الأمين للنشر، ص٥٣، ٥٤.

وللعلم هناك عشرات الدراسات قام بها المفكرين المهتمين بشئون مصر، وللأسف لم ينفذ منها شيئاً، وعلى سبيل المثال تقرير المستشار جمال العطيفي، الصادر في خريف عام ١٩٧١ والذي أوصى التقرير بعشرة توصيات[١] واقر مجلس الشعب التقرير وللأسف لم ينفذ اي توصية وكانت النتيجة أن مصر شهدت ما يزيد عن مائة وستون حادثاً طائفياً.

وهناك دراسة أكاديمية لكلية الآداب جامعة الإسكندرية صدرت عام ١٩٧٨ عن إعادة بناء الشخصية المصرية، وهي من ثلاث مجلدات لإصلاح التعليم، رعاية الشباب، التربية السياسية، العنف والتطرف، ياليت من يهمه امر هذا الشعب الإطلاع عليها وتحديثها إن تطلب الأمر ذلك.

ب- المؤسسات الخدمية

وهي جميع الوزارات والمؤسسات التي يتعامل معها أفراد الشعب والتي تقدم خدماتها للمواطنين دون تمييز أو استثناء، وهذه الخدمات يتم آدائها ليس نوعاً من المن على الشعب ولكنها إلزاماً وإلتزاماً من الدولة، بل هو واجبها والهدف من وجودها أساساً.

كيف يتعامل المواطن مع هذه المؤسسات؟

هناك ثلاث طرق يمكن للمواطن أن يسلك إحداها وذلك حسب مكانته او قدرته المالية او ظروفه الإدراكية لخبايا التعامل مع هذه الإدارات او المؤسسات وهذه الطرق هي:

---

(١) سعد الدين إبراهيم (٢٠١١/١/١٥). "مواطنون احرار يتحدون الدولة المستبدة": جريدة المصري اليوم، ص١٧.

الطريقة الأولى

هي أن يكون المواطن معه خطاب توصية من شخصية معروفة لدى المؤسسة أو الجهة المطلوب آداء العمل بها.

الطريقة الثانية

ان يبحث المواطن على شخص من داخل الجهة المطلوب إنهاء عمل ما وفي الغالب يكون عامل البوفيه أو النظافة أو سمسار متواجد بهذه المؤسسة لا راتب له إلا ما يحصل عليه من آداء هذه الأعمال والحصول على بقشيش يتقاسمه مع الموظفين.

الطريقة الثالثة

وهي أن يعتمد المواطن على نفسه لإنهاء اموره من منطلق أن هذا هو حقه أو عدم إدراكه أن هناك طرق أخرى، وهنا يكون الشخص امام احد امرين:

- الأول: أن يكون الموظف المسؤول لديه من النزاهة والشعور بالمسؤولية والإدراك بأن آداء هذه الخدمات من صميم عمله الذي يتقاضى عنه راتب، وأن ذلك هو حق المواطن.
- الثاني: يضع العراقيل لإنهاء المطلوب وهذه العراقيل يعرفها الموظفين ذوي الخبرة وذلك من كثرة القوانين وتعددها وبالتالي كثرة المذكرات التفسيرية لها.

إن كل هذه الأشياء تؤدي في النهاية لإحساس المواطنين بالغربة في بلادهم وبالأخص المثقفين منهم الذين يدركون كيف يتم معاملة المواطن بالدول شبه المتقدمة.

وهنا تحضرني واقعة كنت شاهد عيان عليها حيث كنت وقتها في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية، لظروف ليس هنا مجال ذكرها طلبت إحدى المصريات التي تحمل الجنسية الأمريكية مقابلة عضو الكونجرس الذي يمثل المنطقة التي تعيش فيها، وتركت هذه الرغبة لدى سكرتارية هذا العضو، وفي أقل من اسبوع كانت في مقابلة مع عضو الكونجرس وكانت سيدة وتفهمت المشكلة ووعدت ببحثها في أقرب فرصة، بعد مضي أقل من ٤٨ ساعة كانت عضو الكونجرس تطلب السيدة المصرية الأصل لإبلاغها بحقها في طلبها وأن مشكلتها قد حُلت، لم تكتفي عضو الكونجرس بأن تقوم سكرتارية مكتبها بإبلاغ السيدة المصرية بذلك الاعتذار وإنما كانت المعتذرة هي عضو الكونجرس نفسها، وبعد يومين وصل خطاب للسيدة المصرية من المؤسسة التي أخطأت به الاعتذار المناسب ووعد بعدم تكراره، هكذا يشعر المواطن أنه في وطنه، ومن هنا يكون الانتماء.

مقترحات لعودة الانتماء للمؤسسات الخدمية

المؤسسات الخدمية تشارك بجزء كبير في تنمية روح الانتماء عندما تكون على المستوى الذي يليق، وهذا لا يتحقق إلا عندما يتوافر لها مقومات أساسية تمكنها من اداء أعمالها بالطريقة التي يرتضيها المواطنين، ويمكن إيجاز هذه المقومات في:

- أن يكون المبنى الإداري الخاص بهذه المؤسسات خارج المدن ويسهل الوصول إليه، وأن يكون لائقاً لآدمية العاملين به

والمتعاملين معه، من كافة الأمور الصحية والإشرافية، وأن يكون هناك رواتب مناسبة لكل العاملين بهذه المؤسسات حتى لا ينتظر مقابل لإنهاء عمل ما.

- وضع إرشادات عامة للمواطنين توضح الاوراق المطلوبة والخطوات الواجب إتباعها، ويمكن لهذه المؤسسات وضع هذه المعلومات على شبكة المعلومات العالمية.

- أن يكون التعامل مع المواطنين عن طريق الإنترنت أو بواسطة الشباك الواحد لاستلام حافظة المستندات وتسليمه الإيصال الدال على ذلك، وموضحاً فيه موعد إستلام الرد ومكان التسليم.

- مطلوب إعادة توزيع العمالة الزائدة بكل المؤسسات الخدمية فليس من الحكمة أن تكون مصر هي الدولة الوحيدة التي يصل عدد موظفيها بالجهاز الإداري يصل إلى ٥,٥ مليون موظف وإن يتم توزيع هذه العمالة على أماكن اخرى لزيادة الإنتاجية وبطريقة مشجعة لهم، وبذلك تتحدد اختصاصات كل موظف حتى يمكن المحاسبة أو المكافئة.

- أن يكون هناك بكل مؤسسة خدمية جهاز لمتابعة الأعمال المطلوبة على أن يكون من اختصاص هذا الجهاز تسهيل العراقيل أو الاتصال بالمواطنين لإبلاغهم بالاستفسارات المطلوبة دون أن يتطلب الأمر حضور صاحب الشان لهذه المؤسسات إلا لاستلام الإفادة المطلوبة.

- أن يكون هناك جهاز لمحاسبة الموظف الذي يقصر في عمله أو يتكاسل في أداؤه وأن يكون هناك أمانة وصدق لكل مواطن يعمل في هذا الجهاز ولا يتحقق ذلك كما قلنا سابقاً إلا بالاستقرار المادي لكل موظف في مكانة.

جـ- المؤسسات القانونية

وهي المؤسسات التي من المفروض أن تكون ممسكة بميزان العدل ولا تفرق بين مواطن وآخر لاحسب جنسيته ولا نوعه ولا لونه ولا مركزه ولا وضعه المادي أو الاجتماعي، إنما تعطيه حقه طبقاً لقانون والمفروض أن يكون قانوناً عادلاً.

السؤال هنا هل يستطيع المواطن البسيط المكافح المطحون من اجل لقمة العيش أن يصل إلى حق له؟ بل العكس هذا المواطن البسيط يجد أمامه العديد من الشخصيات التي يقال عنها مرموقة عندما يتم اتهامها وتكون الاتهامات بدلائل وبراهين ومستندات وتسجيلات صوت وصورة، ثم يأتي من يتولى الدفاع ويجد ثغرة في الإجراءات أو في القانون، وتكون النتيجة التي نعرفها جميعاً، ما هو شعور باقي الشعب؟

وفي النهاية يفقد المواطن الانتماء بل وقد ينقلب من مواطن عادي لآخر هدَّام لا يعلم إلا الله وحده المدى الذي سيصل إليه هذا المواطن من كراهية وحقد لكل شيء.

مقترحات لعودة الانتماء للمؤسسات القانونية

أن يعود العدل إلى ما كان عليه لا فرق بين مواطن وآخر مهما كان وضعه الاجتماعي أو المادي أو الوظيفي وأن يتساوى الجميع في المحاسبة، وهذا لا يتأتى إلا بعد أن يتحرر القضاء من تدخل أجهزة الدولة ذات النفوذ في اختيار القضاة ولجان التحقيق، وإن يتحدد مدد للحكم لأن العدل البطيء هو ظلم، وأن يتم وضع نظام يتفق عليه رجال القانون ليكون هو المعيار الذي يحاسب به الجميع.

د - المؤسسات السياسية

وتتمثل في الأحزاب وإن كانت مصر قبل قيام ثورة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ بها نظام التعدد الحزبي، ولكن بعد الثورة ألغيت هذه الأحزاب، وبعد انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ انتقل النظام إلى نظام التعدد الحزبي يهدف إيجاد قنوات شرعية لمشاركة الشعب في صنع القرار، وصدر القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ الذي يحدد الأسس التي يقوم عليها النشاط الحزبي.

والمفترض أن يكون للأحزاب برامج مدروسة لتعميق حب الانتماء للوطن بصفة عامة وللحزب بصفة خاصة، ومعلوم أن هذا لا يتحقق إلا من خلال العمل الجماعي واتخاذ المبادرات للخدمة العامة وليس محاربة وعرقلة آداء الأحزاب الاخرى والتصادم معها بل يمكن التعاون من أجل هدف واحد وهو الوطن.

أما ما نراه من صراعات قاتلة بين الأحزاب ومع رموزها أدى

لتغلب المصالح الحزبية على مصلحة الوطن، ويكفي قراءة جرائد هذه الأحزاب حتى نقف إلى أين وصل الانتماء.

فالأحزاب بالدول التي تسعى لتقدم شعوبها لها دور هام وملموس في تنمية الانتماء للوطن من خلال تنفيذ العديد من برامج العمل الشعبي وتنفيذ المشروعات التطوعية لخدمة المواطنين في الاحياء والقرى والمدن وذلك بالتعاون مع الجمعيات الأهلية والاجتماعية ليكون الشعار «الوطن أولاً وأخيراً».

مقترحات لعودة الانتماء للمؤسسات السياسية

لابد لهذه المؤسسات أن تؤمن بالعمل من أجل أن يكون هدفها هو مصر وأن تلتقي الأحزاب جميعها مع بعضها البعض ويكون هدفها هو مستقبل مصر وليس إرضاء مصالح شخصية أو أغراض اخرى.

هـ- المؤسسات الشبابية

وهي المؤسسات التي تضم الأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية والترفيهية، حيث نجد أن هذه المؤسسات تعطي اهتماماتها من أجل تحقيق المكاسب الملموسة من تفوق في المجال الخاص بها دون النظر لقيم أخرى بل قد يكون التفوق على حساب المبادئ والقيم مما يؤدي في النهاية إلى المكاسب اللحظية دون الوضع في الاعتبار أن مجرد تحقيق هذه المكاسب على حساب الأخلاقيات والمبادئ سيكون على المدى البعيد فقد الانتماء للمكان المحدود الذي تجاهل هذه الأخلاقيات ومن ثم فقد الانتماء لم هو أكبر

من المؤسسة الشبابية المنتمي إليها حتى يصل الأمر لفقد الانتماء لبلاده.

مقترحات لعودة الانتماء للمؤسسات الشبابية

يمكن لهذه المنظمات تنمية وعودة الانتماء لشباب الوطن وذلك من خلال بعض الإجراءات منها:

- تعريف الشباب بأمجاد بلادهم وتاريخ وحضارة الأجداد والأبطال والانتصارات، وهنا لابد من ذكر معلومة لها دلالاتها.

- عندما قام القائد الفرنسي بونابرت بغزو المانيا مما أدى لتدهور امورها واصبحت في وضع سيء، وعندما أراد الألمان الخروج من هذه الكبوة فجاءوا بثلاثة من رجالها:
  - ،إلكسندر فون هامبولت، وهو اشهر عالم طبيعة، وقد سميت جامعة برلين على اسمه.
  - ،جوته، وهو شاعر المانيا العظيم.
  - ،البارون فون بوستون، وكان سفيراً لألمانيا في إيطاليا وهو دبلوماسي قدير.

وجلسوا معاً وكان المطلوب منهم وضع مقترحاتهم لكي يقوم الشعب الألماني من كبوته، وكانت المقترحات عبارة عن جملة لا تزيد كلماتها عن سبع كلمات وهي ،على الشباب الألماني أن يعرف تاريخ بلاده،.

من تلك الجملة البسيطة الشاملة يتبادر العديد من الأسئلة لشبابنا:

من منهم قرأ موسوعة «وصف مصر» تأليف علماء الحملة الفرنسية ترجمة زهير الشايب، أو «قصة الحضارة» تأليف سليم حسن وكلها تباع بأسعار رمزية ضمن مشروع مكتبة الأسرة، الذي بدا عام ١٩٩٣ وأصدر آلاف الأعمال في شتى المجالات.

بل أسأل الشباب عن معلوماتهم عن أعظم حرب خاضها الجيش المصري في العصر الحديث والتي غيرت من استراتيجيات الحروب وهي حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، هل يعلم شبابنا هذه الحقائق:

- أنها الحرب الأولى في تاريخ إسرائيل والتي تكبدت فيها خسائر في الأرواح بلغت ٢٥٢٢ قتيلاً، بخلاف الأسرى والجرحى والمفقودين، وتتمثل ضخامة هذه الخسائر عندما تقارن بتعداد سكانها.

- أنه في اليوم الأول من القتال –يوم ٦ أكتوبر– تم تدمير ٢٠٠ دبابة إسرائيلية، وأنه لأول مرة في تاريخ الحروب يتم تدمير ١٥٠ دبابة في زمن لا يزيد عن ٢٠ دقيقة.

- وفي اليوم الثاني من القتال استطاعت القوات المصرية أن يكون لها ٥ رؤوس كباري في سيناء وخمسة فرق مشاة كاملة وبعمق ٦–٨ كيلومترات، وتحقق ذلك بأقل خسائر (٢,٥٪ من الطائرات، ٢٪ من الدبابات، ٣٪ من القوات البشرية) مع أن الاتحاد السوفيتي قدر حجم الخسائر في مرحلة العبور فقط بـ ١٥٪ من القوات أي من ١٠–١٥ الف مقاتل.

- أن الضربة الجوية الأولى التي بدأت الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر والتي كانت تضم ٢٢٠ طائرة لم تفقد منها إلا أربع طائرات فقط مع أن الروس توقعوا أن نفقد ٣٥٪ منها !! أي ٧٧ طائرة.

- العلم المصري كان على الضفة الشرقية لقناة السويس بعد نصف ساعة من بدء القتال ورفعه المهندس/ محمود نافع وكان جندي مجند.

- انه لأول مرة في تاريخ الحروب البرية يتصدى جندي حاملاً سلاح بسيط لدبابة، مع أن المتعارف عليه تكتيكياً أن الدبابة لا يقف امامها إلا دبابة مماثلة على الأقل، أو مدفع ثقيل العيار موجود بموقع محصن جيداً.

- أن عبور قواتنا لقناة السويس – أصعب مانع مائي عرفته الجيوش، كان بمثابة معجزة– وكذلك فتح الثغرات في خط بارليف الذي قال عنه الخبراء العكسريين للاتحاد السوفيتي انه يحتاج لقنابل ذرية.

- أن مصر في حرب ١٩٧٣ كانت تمتلك أقوى حائط صواريخ مضاد للطائرات في العالم.

- كما أن حرب أكتوبر شهدت أكبر حرب مدرعات عرفها العالم حيث شاركت في الحرب ٦٧٠٠ دبابة مدرعة.

- أن أكبر عملية خداع في الحروب تمت في أكتوبر ١٩٧٣.

ما سبق ماهي إلا خطوط عريضة لبعض الأعمال التي قام بها أبناء هذا الوطن والتي يتجاهلها حالياً الوطن، بالرغم من ان كل عمل منها كان يروى بالدم الذكي لأبطال لا يعلم شبابنا عنهم شيئاً، فالأسماء التالية لكل منهم قصة يكتب عنها ويعمل لها أكثر من فيلم، وقد حصل كل منهم على أرفع وسام عسكري وهو نجمة سيناء.

أسماء الأبطال هم:

- المشير أحمد إسماعيل علي وزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة خلال ملحمة التحرير.
- اللواء أحمد حمدي عبد الحميد.
- اللواء شفيق متري سدراك.
- العميد إبراهيم الرفاعي السيد الرفاعي.
- العميد محمد فطين دياب.
- العقيد إبراهيم عبده عبد الفتاح.
- العقيد إبراهيم عبد التواب.
- المقدم صلاح عبد السلام حواش.
- المقدم مكرم محمد محمد زرد.
- الرائد مبارك عبد المتجلي السيد مهران.
- الرائد فيصل محمد عبد الفتاح العطار.
- الرائد طيار إسماعيل محمد حسن إمام.
- نقيب احتياط محمد عبد الحميد سرية.
- ملازم أول محمد حسن أحمد عبد العزيز.

- اللواء عادل سليمان يسري محمود وهبى.
- اللواء محمد حمدي الحديدي.
- العميد بحري علي محمد توفيق جاد.
- العقيد عبد الوهاب محمد الحريري.
- العقيد ناجي عبده إبراهيم.
- المقدم نزيه محمد حلمي.
- الرائد بحري حسين محمد عبد العزيز هندي.
- الرائد طيار شريف محمد عزب محمد السيد عزب.
- الرائد طيار محمد رفاعي محمد محمد السيد عبد الشافي.
- الرائد طيار محمد ضياء الدين يحيى محمود الحضاري.
- النقيب السيد محمد عبد الرحيم البرعي.
- النقيب السيد درويش السيد.
- النقيب أحمد السيد عبد الباقي.
- نقيب طيار حسن محمد محمد حسن.
- عميد طيار يحيى محمود صالح الرفاعي.
- مقدم عماد أحمد محمد الصفطي.
- مقدم صلاح كمال مرسي رسلان.
- النقيب محمد منير عبد الحميد محمد مكي.
- ملازم أول ياسر محمد محمد بحري.
- ملازم أول سيد جلال سيد أبو العينين.
- ملازم محمد طه محمد خليل.
- مساعد قوات جوية حمدي عثمان محمد.

- مساعد تعليم علي احمد حسن أبو الحسن.
- رقيب أول ملاك تادرس عبد الملاك.
- رقيب أول طلعت عبد الستار عبد الغفار طلبة.
- رقيب أول سيد محمد أحمد إسماعيل.
- رقيب عبد النبي زكريا عبد النبي.
- رقيب السيد محمد عبد الباقي.
- عريف عاطف محمد عمر مصطفى.
- عريف مصطفى كامل حميد.
- عريف ربيع محمد البربري.
- رقيب أول بحري مرتضى موسى موسى.
- رقيب أول احمد شوقي عفيفي.
- رقيب أول مصطفى إبراهيم محمد
- رقيب أول محمود مصطفى حسن.
- رقيب اول مراد سعيد عبد الحافظ.
- الرقيب أول مجند محمد عبد العاطي عطية شرف.
- رقيب عبد المعطي عبد الله عيسى.
- رقيب مؤهلات عليا إبراهيم عبد الغني السكري.
- رقيب سعد السيد فايد.
- رقيب إبراهيم إبراهيم جريدة.
- رقيب جبريل عبد الجليل جبريل.
- رقيب محمد إبراهيم عبد المنعم المصري.

واستكمالا لمقترحات عودة الانتماء للمنظمات الشبابية هناك بعض الأمور التي يجب الالتفات إليها مثل:

- تنظيم الندوات بمشاركة الشخصيات العامة لتحقيق التواصل بين الأجيال.
- تنظيم الرحلات للأماكن التاريخية والمتاحف الأثرية والمناطق السياحية والمشروعات الحضارية ليعرف الشباب بلده وتاريخها.
- تنظيم المسابقات بين الشباب لتجميع المعلومات التاريخية لشخصية وطنية وتدريبهم على النظرة التكاملة والمحايدة لهذه الشخصية.
- توعية الشباب بمخاطر الإدمان ومخاطر الممارسات الجنسية غير الشرعية التي تؤدي لأمراض مميتة.
- التوعية بحقهم الانتخابي في اختيار ممثليهم وتشجيعهم على آداء واجبهم الوطني.

خلاصة القول أن الانتماء ما هو إلا علاقة اجتماعية تنشأ بين الدولة والشعب حيث تقدم الدولة الحماية الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية والصحية والفكرية والثقافية للشعب وفقاً لقانون عادل ودستور يساوي بين الأفراد جميعهم، ومن الجانب الآخر يلتزم أفراد الشعب بتقديم الولاء كاملاً للدولة.

إذن الانتماء هو انتماء وطن للشعب قبل انتماء شعب الوطن. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل يمكن أن يكون لدى الشعب

المصري انتماء؟[1] فقانون الطوارئ مطبق منذ عام ١٩٨١ وحتى الآن، ومياه الشرب غير صالحة في مناطق كثيرة، وبعض المزروعات تروي من مياه الصرف الصحي، والسحابة السوداء تظهر كل عام وتلوث الهواء، نهب أراضي الشعب مستمر، تراجع مستوى التعليم، احتلال ذيل القوائم العالمية في معايير التنمية والثقافية والديمقراطية والنزاهة والصحة والبطالة والعنوسة وأطفال الشوارع والعشوائيات والتفاوت الطبقي، البيروقراطية، سوء توزيع الدخل القومي، تفشي الفساد، غياب العدالة وتكافؤ الفرص، غفوة القانون، تفاقم الرشوة، هيمنة المحسوبية والوساطة، توطن الأمراض، تراجع القيم، التدين الشكلي، إشعال الفتن الطائفية، سوء الإدارة.

بالرغم من كل السلبيات السابق ذكرها إلا أن الأمر ليس من الصعب إصلاحه فمصر بها مفكريها وعلمائها وأدبائها وسياسيها القادرين على إصلاح امورها، لأنه عندما تنتمي الدولة بكل مؤسساتها إلى المواطنين وتكفل لهم الحياة الكريمة من الغذاء، الكساء، المسكن، التعليم، الصحة، الأمن الداخلي والخارجي، العدالة الاجتماعية التي تحققها سيادة القانون في هذه الحالة ينتمي الشعب لدولته.

ونظراً لأهمية توثيق تاريخ الشعوب والدور الذي يلعبه التاريخ في الانتماء يتناول الفصل التالي ذلك الأمر بالتفصيل.

---

(١) ياسر عبد العزيز (٢٠١٠/١٢/٢٦) "المؤامرة على مصر": جريدة المصري اليوم

الفصل الثاني

تاريخ الشعوب والانتماء

الفصل الثاني

تاريخ الشعوب والانتماء

تعتبر الكتابة التاريخية هي مرحلة من تطور وعي الإنسان بذاته وبما يجري حوله، وكتابة التاريخ تهدف لاسترجاع الماضي، ومؤشر لوعي الإنسان بالزمن الذي هو نسيج وجوده[1]، إن المعرفة التاريخية تساعدنا للنظر إلى الحضارة الإنسانية بوصفها نتاجاً للواقع الإنساني المتطور.

إن الأمة التي لا تعرف تاريخها في ماضيها لا تدرك حقيقة حاضرها ولا تملك الاستعداد لمستقبلها، فالتاريخ بالنسبة للأمم كالضمير الحي، فالدول التي تهمل تاريخها تصبح أمة بلا ضمير[2]، فقدماء المصريين سجلوا تاريخهم بالحفر على الحجارة، وإقامة المعابد والمسلات والتماثيل ليكون ملموساً ومحسوساً للمعاصرين أنفسهم، نفس الشيء فعله البابليون والآشوريون والرومانيون وغيرهم من الحضارات العظيمة. وهناك من يعتبر كتابة التاريخ ضرورة اجتماعية، نظراً لحاجة البشر لمعرفة ماضيها والذي يساعدها لفهم حاضرها ومن ثم مستقبلها[3].

---

(١) محمد وقيدي (١٩٩٠). "كتابة التاريخ الوطني": دار الأمان (الرباط).

(٢) محمد لطفي (٢٠٠١). "مباحث في التاريخ": عالم الكتاب.

(٣) قاسم عبده قاسم (٢٠٠٣). "في تطور الفكر التاريخي": مطابع زمزم ص٥٨.

فبدراسة التاريخ بعد تسجيله نستطيع أن نفهم أسباب الكثير من الظواهر الاجتماعية والثقافية بل نتائجها أيضاً، حيث لا شيء يحدث صدفة.

إن الذين لا يعرفون التاريخ قد يقعون في منزلق تكراره. لأن ما تم إنجازه في الماضي قد يكون مفيداً لأنه يدلنا على البدائل والإمكانات الموجودة حالياً.

ومن المؤكد أن التاريخ لا يقدم حلولاً للمشاكل بقدر أنه يستطيع التعرف عليها وأسباب وكيفية حدوثها. فكما أن الإنسان يحتاج إلى ذاكرة فهو يحتاج إلى تاريخ لأن التاريخ هو ذاكرته القومية، وكما يؤكد علماء النفس أن الاختلال الذي يطرأ على التوازن العقلي والنفسي إذا فقد المرء ذاكرته، كذلك تمرض الشعوب لضياع تاريخها الذي هو ذاكرتها[1]، هل يمكن أن نتخيل مجتمعاً فاقد الذاكرة، لا يعرف شيئاً عن ماضية. إن الماضي الإنساني يعيش في الحاضر وتنقله الأجيال المتعاقبة للمستقبل حاملاً معه تاريخ كل فنون الحياة المختلفة وكلها ما هي إلا ميراثاً حضارياً تتوارثه الأجيال وتضيف إليه من الخبرات المكتسبة ما يؤهل لمستقبل أفضل.

أن المعرفة التاريخية للوطن تؤدي لخلق روح الانتماء لدى الشعب والاعتزاز بالوطن ورموزه الذين لهم فضل في شتى المجالات.

---

(١) رافت الشيخ (١٩٩٦) "في فلسفة التاريخ: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص١٥.

إن من يشكك في قيمة التاريخ يحصرون فهمهم على أن التاريخ هو الماضي فقط دون ربطه بالحاضر بل والمستقبل ايضاً، فعندما نكتب التاريخ فإننا نسجل التجربة الإنسانية وهي متصلة الحلقات وبذلك يكون التاريخ هو الماضي والحاضر والمستقبل.

الفرق بين التاريخ والتأريخ

التاريخ History هو احد العلوم الاجتماعية او انه فرعاً من الآداب الإنسانية القائمة على السرد الإنشائي الأدبي في الكتابة.

وهذا ما أكده راي ابن خلدون الذي يقول أن التاريخ في أحد خصائصه لا يزيد عن احوال الماضي واخباره، وفي خصائصه الأخرى نظر وتحقيق لهذه الأخبار والوقائع، كما يضيف ابن خلدون بأن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ... الخ.

وهناك من يقول بأن التاريخ هو ماضي الإنسانية ويدور حول الوقائع التي ترتبط به في الزمان والمكان.

وهناك من يقصد بالتاريخ دراسة التطور البشري في جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية أياً كانت معالم هذا التطور وظواهره واتجاهاته.

وهناك راي يقول ان علم التاريخ هو فرع من فروع المعرفة الإنسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي والتحقق منها وتفسيرها ثم تسجيلها طبقاً لتعاقبها، ولا يتوقف الأمر على ذلك بل

يحاول المؤرخ ربط الأحداث وتوضيح العلاقة السببية بينها ليفسر التطور الذي حدث على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة وان يتوصل المؤرخ كيف حدث ذلك ولماذا؟

والتاريخ عندما يتم تسجيله نجده يهتم ليس فقط بالمعارك ولكنه يتناول الحياة بجوانبها المختلفة (الاقتصادية، الاجتماعية، العلمية، السياسية، الفكرية والعسكرية).

أما الرأي الذي ينادي به البعض بأن التاريخ ليس علماً كالعلوم الأخرى مثل الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والنبات والحيوان، نظراً لأنه محروم من الصفة المميزة للعلوم المشار إليها حيث تخضع هذه العلوم لقواعد وقوانين ثابتة، ففي الرياضيات مثلاً جدول الضرب نجده ثابتاً ويظل هكذا للأبد وفي الطب إذا عرفت أعراض المرض امكن تشخيصه وعلاجه، وفي الكيمياء تنتظر نتائج معينة من إمتزاج العناصر وانفصالها ولكن في التاريخ لاتجد شيئاً من هذا بل كل حادثة قائمة بذاتها وظروفها.

ولذلك لا يوجد للتاريخ نظام كما توجد نظم للعلوم، فمثلاً إذا درست الثورة الفرنسية ووقفت على كل تفاصيلها لا يمكنك أن تعرف الثورة الروسية قبل حدوثها.

ولذا يقال عن الدليل التاريخي بعد حدوث الأشياء لا قبل وقوعها.

فالتاريخ يسير على أرض التجربة والاختبار، والمؤرخ يعلم ويدرك الحوادث مباشرة بملامستها ولا يستطيع أن يحكم عليها إلا بعد حدوثها، بعكس العلوم التي لها قوانين تحكمها.

وهناك من يخالف كل الآراء السابقة فيقول أن التاريخ علم له قواعد وأصول ومنهج، وليس مجرد فن من الفنون الوصفية التي تكتفي بسرد الأحداث (المروية أو المنقولة من كتب ووثائق) دون محاولة التأكد من صحتها، ومن هنا يكون دور المؤرخ الذي يحلل الأحداث ويربط بها معاً للتأكد من صحتها.

أما كلمة التأريخ Historiography

هو العلم الذي يبحث في دراسة القواعد والأصول الخاصة بالماضي وتدوينه بواسطة المؤرخين الذين يجب أن يتصفوا بعدم التحيز الشخصي، الطبقي أو العقائدي، الأمانة العلمية، الشجاعة في ذكر الحقائق دون مجاملة لأشخاص أو جهات أو دول، المثابرة في البحث، الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم فيما يكتبوه، وأن يكون كل منهم ملماً بموضوع بحثه ويتأكد من مصادر معلوماته، أن يكون صبوراً، يتحمل متاعب البحث، أن يكون بعيداً عن حب الشهرة أو الحصول على مزايا، أن يعطي كل صاحب فضل حقه، أن يكون محباً لعمله، وقادراً على ربط الأحداث ووضعها في تسلسل منطقي وتاريخي بهدف الوصول لنتائج أقرب ما يكون للصواب.

وعموماً المؤرخ المحايد الموضوعي لا يظهر إلا بعد عشرات السنين من الحدث.

إذن المفهوم الصحيح لكلمة تاريخ تدل على "مسيرة الإنسان الحضارية على سطح كوكب الأرض منذ الأزل"، أما كلمة تأريخ هي تعبير عن "العملية الفكرية الإنشائية التي تحاول إعادة تسجيل وبناء وتفسير مسيرة الإنسان على كوكبه".

علاقة التاريخ بالزمان والمكان والإنسان

هي علاقة متداخلة لأن التاريخ هو الماضي المحدد بزمان ومكان معينين، فبدون عنصري الزمان والمكان لا يكون هناك تاريخ، أي أن الظاهرة التاريخية تقوم على ثلاث دعائم هي الزمان والمكان والإنسان.

علاقة التاريخ بالزمان

يقال ان التاريخ علم متزمن، اي علم متصل بالزمن بل يقال اكثر من ذلك أن الزمن هو التاريخ في أحد معانيه، حيث يمضي الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل، يصير الحاضر ماضياً، والماضي القريب ماضياً بعيداً والمستقبل حاضراً.

علاقة التاريخ بالمكان

كما سبق وقيل أن التاريخ علم متزمن فيمكن القول أيضاً بأن التاريخ علم متمكن وذلك لأن الجغرافيا من حقائق التاريخ الأولية فمن الطبيعي لا تحدث الواقعة التاريخية في فراغ وإنما تحدث في مكان.

علاقة التاريخ بالإنسان

الإنسان هو المخلوق الوحيد على الكرة الأرضية الذي يميز بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو الوحيد الذي يستفيد من التجارب السابقة وبالتالي نجده يكتسب الميراث مع مرور الزمن، ومن هنا يكون الإنسان هو صانع التاريخ ولولا وجود الإنسان على سطح الأرض لما وجد التاريخ، ولا يمكن تخيل وجود ظاهرة تاريخية لا ترتبط بالإنسان، ومنذ بداية خلق الإنسان بدأ يسجل ماضيه بالرموز تارة وبالصور تارة أخرى ثم بالتماثيل والمسلات والمعابد والكهوف التي كان يعيش فيها.

تأريخ مصر الحديثة[1]

هناك من يبرهن على أن كتابة تاريخ مصر الحديثة حتى الثلاثينات من القرن التاسع عشر كان يكتب بمفهوم المدرسة التاريخية التقليدية الكلاسيكية دون أدنى تأثير من هنا وهناك.

أما كتابة تاريخ مصر من الثلاثينيات منذ القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن الحادي والعشرين فنجده مر بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى (١٨٣٥-١٩١٩)

مدة هذه المرحلة ٩٤ عاماً وهي المرحلة التي أسهم فيها رفاعه الطهطاوي وتلاميذه بإسهاماتهم الكثيرة حيث :

(١)عبد الخالق لاشين (١٩٩٣). "مصريات في الفكر والسياسة". سينا للنشر، ص١٥.

- أسس مدرسة للتاريخ والجغرافيا بمصر.
- شارك وأشرف على مدرسة الألسن منذ ١٨٣٥ حيث تم ترجمة العديد من المؤلفات التي كانت الاتصال الأول بين العقل المصري بمناهج التأريخ على النمط الغربي.
- في عهد الخديو إسماعيل أعيد تأسيس مدرسة الألسن وتولى رفاعه الطهطاوي رئاسة القلم والترجمة وقام بإصدار العديد من المؤلفات بمشاركة تلاميذه.

المرحلة الثانية (١٩١٩-١٩٦٠)

مدة هذه المرحلة ٤١ عاماً وتميزت بظهور المؤرخ المتخصص خريج المدارس العليا المصرية والجامعة المصرية ومدرسة المعلمين العليا أو من خلال البعثات لبلدان أوربا وخاصة المملكة المتحدة وفرنسا حيث ظهرت الكتب المترجمة وعلى وجه الخصوص الدراسات التاريخية، كما ظهرت في تلك المرحلة العديد من كتابة مذكرات الساسة والقادة ورجال الفكر.

المرحلة الثالثة (١٩٦٠-٢٠١٠)[1]

ومدتها ٥٠ سنة حيث شهدت هذه المرحلة نمواً ملحوظاً في الكتابة التاريخية نتيجة لنمو وتعدد الجامعات والمعاهد العليا بالإضافة لزيادة البعثات الخارجية، وزيادة أعداد مذكرات الساسة والقادة ورجال الفكر والعلم والأدب.

---

(١) المرجع السابق: ص٢٥.

وبالرغم من ذلك التقدم إلا أن مصر تحتاج لمدرسة تاريخية علمية تلتزم بضوابط المنهج العلمي لتسجيل أعظم تراث تاريخي بدلاً من العدد الهائل من الكتب والمقالات والشهادات والحكايات التي من الصعب معرفة مدى صدقها مما يؤدي لتشتيت الفكر بل المبادئ ايضاً، وهنا تظهر لنا ثلاث حقائق.[1]

حقيقة اولى: أن التاريخ ليس فراراً من الحاضر إلى الماضي، وليس حكايات تنتمي إلى وقت مضى نرددها لتزكية أوقات الفراغ، ولكن بالعكس، فالتاريخ أصبح ذات أهمية كبيرة لإثراء الحاضر وترشيد خطاه، الماضي حي دائماً في الحاضر وفعال فيه. والماضي دائماً جزء هام من عقلنا ومحرك لسلوكنا ومؤثر في أفكارنا.

حقيقة ثانية: أن التاريخ ليس فن صياغة الأكاذيب او تضليل العقول، ولكنه في الأساس معرفة بالحقيقة بعد إخضاعها لمناهج نقدية دقيقة حتى لا يكون التاريخ العوبة في يد كل من يمسك قلماً.

حقيقة ثالثة: أن الروايات الكاذبة وغير الموثقة ليست فقط لتشويهها للماضي، أو طمساً للحقيقة، ولكنها أجزاء من مؤامرة للتضليل، وإفساد الماضي، بقصد إفساد الحاضر والمستقبل معاً، فهناك فرق بين "الحقيقة التاريخية" وبين "الخديعة التاريخية" حيث يجب على المؤرخين تجنب المبالغات التي تجعل كل ما حدث في الماضي مضيئاً، وتمجيده بالحق والباطل، ولكن المطلوب المصداقية

---

(١)رجب البنا (١٩٩٨). "تاريخ ليس للبيع": الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٥١.

في ذكر الانتصارات والانكسارات، فليس هناك عصر كان ظلاماً تاماً، ولا زعيماً كان مخطئاً بنسبة مائة في المائة، إن الإنصاف واجب أخلاقي وقومي، وضروري لإعادة "إلتئام الشخصية المصرية" التي تمزقت أو على وشك التمزق.

إلى كل من يتحدث عن ضرورة الانتماء والولاء لمصر عليهم أن يعلموا أن هذا لا يتحقق إلا بتسجيل وتوثيق التاريخ، لأن التاريخ هو رصيد الأمم ومستودع تجاربها الذي يساعدها في تحديد الطريق الصحيح الواجب اتباعه، وإهمال تسجيله ما هو إلى اغتيال للمستقبل الذي يتأثر بالماضي والحاضر، ولا يعتبر توثيق التاريخ هروباً من الحاضر الأليم للماضي السعيد وإنما يتم توثيق الماضي لإثراء الحاضر وتلافي الأخطاء ومن يخجل من ماضية لا يجد الثقة لبناء مستقبله، فالتاريخ هو الجذور التي تعطي الشعوب المشاعر بالانتماء والفخر بالأجداد، وإن لم يوثق هذا التاريخ سوف يفسد وبالتالي يفسد الحاضر ومن ثم المستقبل، وأن الماضي ليس لخداع وتضليل وطمس الحقائق وإنما لمعرفة الحقائق كاملة للاستفادة منها، فالتاريخ يعاد قراءته ولا تعاد كتابته إلا عند ظهور وثائق جديدة لم تكن متاحة لمن كتبوا التاريخ.

التاريخ هو معمل الجغرافيا وكذلك المخزن الاستراتيجي الذي لا ينضب وكل منها يستمد منه طاقته ويجري عليها تجاربه، وأن التاريخ هو جغرافيا متحركة، بينما الجغرافيا تاريخ توقف.[1]

---

(١) جمال حمدان (٢٠٠٠). "استراتيجية الاستعمار والتحرير": الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٩.

ويقول الفليسوف الألماني "هيجل"[1]

"أن التاريخ هو تقدم الروح في الزمان أما الطبيعة تقدم الفكرة في المكان، وأنه لا يصبح للأمم تاريخ إلا بعد أن تكون لها نظم سياسية".

ويضيف ،هيجل، ... "أن لكل فكرة نقيضها ولكن توثيق التاريخ لا يخضع لهذا المنطق إلا إذا أهمل ومن ثم أصبح تزويره ممكنا".

إن لم نسارع الآن بتوثيق تاريخ حروبنا الحديثة فسوف يتم طمس الحقائق بروايات غير موثقة ليس بغرض تشويه الماضي ولكن لإفساد الحاضر والمستقبل معاً وسأذكر واقعتين لهما مدلولات عميقة لعلنا نستفيد:

الواقعة الأولى:

عقب سقوط فرنسا في الحرب العالمية الثانية في يد "هتلر" وأصبحت المملكة المتحدة في مدى الصواريخ الألمانية ف١، ف٢ حديثة الصنع في ذلك الوقت والموضوعة على الشاطئ الفرنسي، مما زاد من حجم الدمار داخل العاصمة لندن وخارجها، وبسؤال "ونستون تشرشل" رئيس وزراء المملكة المتحدة في ذلك الوقت، ما الذي تعتمد عليه في إصرارك على مواصلة القتال وقد ضاع كل أمل في النصر بسقوط فرنسا فكان رده الحكيم: "سوف أهزمهم حتماً لأني أعرف التاريخ العسكري خير منهم".

---

(١) هيجل (١٩٩٤). "فلسفة التاريخ" ترجمة علي أدهم، ص ٣٧، ٣٩: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الواقعة الثانية:

قبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، أسرعت الولايات المتحدة الأمريكية بتكليف المتخصصين لديها بكتابة وتوثيق التاريخ العسكري للحرب، واستغرق ذلك العمل أربعة عشر عاماً وسجل في سبعة وعشرين مجلداً بلغت تكاليفها ستة ونصف مليون دولار في ذلك الوقت، نفس الشيء فعله الاتحاد السوفيتي وباقي الدول المشاركة في الحرب سواء المنتصرة او المنهزمة!!

والسؤال الآن أين تسجيل وتوثيق حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقد مضى عليها اكثر من ٣٧ عاماً، المطلوب إبراء الذمة أمام الله والوطن وخاصة انه لا يوجد شيء نخجل منه لأن من يخجل من ماضية لا يجد الثقة لبناء مستقبلة، وأقول انه من حق الشعب أن يفتخر بإنجازات هذه الحرب، فالحرب ماهي إلا عدة معارك والنتيجة النهائية لها لمن يحقق أهدافه.

إذاً تسجيل وتوثيق تاريخنا وحروبنا ليس نوعاً من الرفاهية وإنما الأمر يتعلق مباشرة بأمن الدولة القومي بل وتقدمها وازدهارها، فعلى مر التاريخ كله لا نجد قائداً شهيراً إلا كانت شهرته نتيجة لعلمه ودراساته لمعارك الماضي، فمثلاً بإلقاء نظرة سريعة على الحروب المصرية الإسرائيلية عام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ سنجد أن الخطط الإسرائيلية تكاد تكون متكررة وعند سؤال "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي السابق عقب حرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧ إن كان يتوقع هذا النجاح الباهر لقواته على ثلاث دول عربية (مصر،

سوريا، الأردن) رغم انه كرر ما قامت به القوات الإسرائيلية أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ؟؟

فكان رده : "العرب لا يقرأون"!!

والسؤال هنا ... هل هناك تسجيل علمي موثق لهذه الحروب حتى يمكن قراءتها؟. من هنا يتناول الفصل التالي بعض المعلومات عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتكون بداية لتذكرة شبابنا بعظمة هذه الحرب ودورها في إعادة الانتماء.

الفصل الثالث

حرب أكتوبر ١٩٧٣ والانتماء المصري

الفصل الثالث

حرب أكتوبر ١٩٧٣ والانتماء المصري

لست مغالياً ولا منحازاً ولا منفعلاً عندما اقول أن ما تم في حرب اكتوبر ١٩٧٣ من تخطيط وتدريب وخداع وعبور يصعب على أي كاتب محترف أن يغوص في أعماق الروح التي كانت داخل كل المقاتلين الذين حملوا الأمانة ووعدوا وواعدوا ربهم وشعبهم على النصر أو الشهادة، لم يكن هناك اختيار آخر، إما أن نكون أو لا نكون، من عاش هزيمة يونيو ١٩٦٧ هو الذي يشعر بالأحاسيس التي احاول الاقتراب منها لكتابة هذا الفصل، ومن عاش نصر اكتوبر ١٩٧٣ سيشعر بأني ظلمت ذلك النصر لأني لم أوفيه ما يستحق!!

شتان ما بين ١٩٦٧، ١٩٧٣ من كافة الوجوه والأوجه ففي ١٩٦٧ تحمل الجيش الهزيمة دون أن يحارب ولست في صدد توجيه الاتهامات لأجهزة أو أشخاص لأن هذا يبعدني عن الموضوع الذي اتناوله في هذا الكتاب، وإحقاقاً للتاريخ أستطيع أن اقول وانا مستريح البال والفكر والضمير والأمانة للتاريخ، أن ما تم في ١٩٦٧ ليست بهزيمة عسكرية كما يعرفها العكسريين، وإنما هي هزيمة سياسية بكافة المقاييس والمعاير الدولية، لأن المقاتل المصري لم يحارب ولم تكن لديه خطط هجومية ولا دفاعية كما تعلمناها، وإنما كانت مظاهرة ساذجة لكل من درس أبجديات الحرب، والدليل هو ما تم في حرب ١٩٧٣

كان بنفس الجندي والمقاتل بدايته من لحظة التخطيط إلى تمام التنفيذ، فالأمر ليس بضربة حظ إنما هي علوم وحسابات ومعدات وقدرات قتالية، وفوقها جميعاً الإيمان بعدالة القضية التي يحارب من أجلها.

لم يكن أمام المقاتل المصري إلا النصر وذلك لعدة أسباب:

العدو أمامنا على الضفة الشرقية لقناة السويس ونراه بالعين المجردة، بل في بعض قطاعات قناة السويس التي يضيق فيها الممر المائي كان الجنود الإسرائيليون يخاطبون الجنود المصريين بألفاظ مستفزة ويفعلون إشارات مثيرة، وكان العلم الإسرائيلي يرفرف على الضفة الشرقية لقناة السويس، وجنوده ملء السمع والبصر يجولون بل ويهزئون بالجيش المصري.

ولذلك أقولها بملئ الفم والعقل والقلب بل وبكافة مشاعري أن ما تم في حرب ١٩٧٣ لن ولم يستطيع أكبر كُتاب العالم أن يقترب من حقيقة ما تم، ولا حتى أن يلمس تلك الحقيقة ولو بأطراف مشاعره، إنها مشاعر تفوق العقل البشري، إن ما تحقق من نصر أذهل الأصدقاء قبل الأعداء، وما سوف أحاول أن أذكره إن ما تم في يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ليس وليد الصدفة ولا ضربة حظ، إنما سبقه سنوات اليمه منذ يونية ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ حيث تجرع أبناء القوات المسلحة مرارة الهزيمة التي قلت أنها ليست بهزيمة عسكرية وإنما هزيمة سياسية، فالخطأ كان سياسياً فأوضاع القوات المسلحة لم تكن أوضاع هجوم أو حتى دفاع، إنما كان أوضاعها استعراض فقط.

ما سوف أعرضه في ذلك الفصل عبارة عن بعض ما سبق أن سجلته بقلمي في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ حيث في تلك الفترة كنت طالباً بالكلية البحرية منذ عام ١٩٥٦، أما في حرب ١٩٧٣ كنت محارباً برتبة نقيب على لنشات الصواريخ التي خاضت معارك بحرية تصادميه بالبحر المتوسط.

وبالرغم من أن ما قامت به القوات البحرية المصرية لا يمكن تجاهله أو حتى إنقاصه، ولكني أستطيع أن أقول للتاريخ أن ما قامت به أفرع القوات المسلحة المختلفة كان بمثابة منظومة متكاملة تمثل أعضاء جسم إنسان واحد لا يمكن أن يتميز عضو عن آخر ولكني إحقاقاً للتاريخ هناك أعمالاً بطولية تفوق خيال الكتاب قام بها أبطالاً من القوات المسلحة، وللأسف حتى الآن لم تسجل وتوثق هذه الأعمال وتم تجاهلها بل وتم نسيانها !! لمصلحة من ؟ وماهي النتيجة التي يأملها أي مسؤول تقاعس عن تسجيل وتوثيق تاريخ هذه البطولات، لقد ناديت ومازلت أنادي بل أناشد بتوثيق وتأريخ أحداث هذه الحرب حتى لا تطمس معالمها أو يتم تزويرها.

من قناعتي واقتناعي بأن هناك ضرورة ملحة لتسجيل وتوثيق وتأريخ حرب ١٩٧٣ فقد كان لي شرف اللقاء مع وزير الحربية المصري الفريق أول كمال حسن علي عام ١٩٧٩. وطرحت على سيادته أهمية تشكيل لجان متخصصة لدراسة وتحليل وتوثيق الحرب قبل أن تضيع وتطمس الحقائق والمعلومات، ووعدني بأن الأمر مأخوذ في الاعتبار.

بعد عشر سنوات من هذه الواقعة أي في عام ١٩٨٩ كان لي لقاء مع المشير/ محمد عبد الغني الجمسي وزير الدفاع بعد تقاعده، وكررت طلبي بضرورة توثيق تاريخ الحرب واكد لي بأن الأمر موضوع في الاعتبار لدى القوات المسلحة.

وبعد ٢١ عاماً من الواقعة السابقة أي في عام ٢٠١٠ – أي بعد ٣٧ عاماً من الحرب– طلبت مقابلة قائد القوات البحرية وتقدمت بمذكرة بها مقترحات لأهمية تسجيل وتوثيق تاريخ الحرب وكيفية التنفيذ.

اكاد ان اكون على قناعة بأن هناك مؤامرة تحاك ضد مصر لمنع توثيق تاريخ الحرب، او ربما يكون هناك بنداً سرياً في اتفاقية كامب ديفيد يفيد بعدم إتمام ذلك.

أتناول في هذا الفصل بعض ما قاله الأصدقاء والأعداء قبل وبعد الحرب – وذلك باختصار شديد– بهدف الإلمام بأن ما تم في حرب ١٩٧٣ هو معجزة مصرية ١٠٠٪ وعلى أي مقياس من مقاييس الحروب على مر التاريخ.

قالوا قبل الحرب

إن الصعوبات والتحديات التي كانت تقف أمام حركة القوات المسلحة المصرية لتحقيق اي انتصار عسكري على إسرائيل لا يمكن تجاهلها إلا مجازف او مقامر، وقد قالها الروسيون على مائدة المفاوضات للرئيس عبد الناصر (بالكرملن)، وذكروا بأن على سبيل المثال بأن خط بارليف لا يمكن عبوره حتى باستخدام القنابل الذرية، ونفس الجملة قالها جنرال روسي للمشير "احمد إسماعيل" أثناء زيارة الجبهة.

- قال خبير روسي لقائد الجيش الثاني اللواء/ سعد مأمون إذا كان مُشاتكم سيبقون ثلاث أو أربع ساعات على الضفة الشرقية للقناة بدون مدرعات فسيتم القضاء عليهم بالتأكيد.
- قال احد الجنرالات الإسرائيليين "إن إسرائيل الآن واحدة من الدول الكبرى".
- الجنرال "شارون" إن إسرائيل الآن مستعدة لمحاربة حلف وارسو، وهي قادرة على توجيه ضرباتها القاسية حتى القطب الشمالي".
- الجنرال "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي "طالما أن لنا جنوداً إسرائيليين، وأن قناة السويس هي حدودنا العسكرية وأن العرب هم أعداؤنا ... فإن كل شيء على ما يرام".

- في ١٩ سبتمبر ١٩٧٣ وجهت "جولدا مائير" رئيسة الوزراء رسالة إلى يهود الشتات بمناسبة العيد قالت فيها: "إن هناك سببين رئيسيين للهدوء الذي يسود خطوط وقف القتال هما قوة الردع لدى الجيش الإسرائيلي، القوة الداخلية في إسرائيل".

- في ٣ سبتمبر ١٩٧٣ وجهت "جولدا مائير" رسالة عند افتتاح مستعمرة (هامبوهاد) "إن السادات ليس عنده الشجاعة لكي يعترف بأن عليه أن يقيم السلام مع إسرائيل لأنه عاجز عن هزيمتها في ميدان القتال".

- في ٢٠ يولية ١٩٧٣ يقول "إيرل شارون": "إن إسرائيل الآن قوة عسكرية عظمى، فأي دولة أوربية أضعف منها عسكرياً".

- في شهر أغسطس ١٩٧٣ صدر تحليل للميزان العسكري ١٩٧٣-١٩٧٤ عن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن "التفوق الجوي الإسرائيلي قد تدعم بدرجة كبيرة ... حيث وصل مجموع ما لدى إسرائيل إلى ٤٨٨ مقاتلة قاذفة يتفوق أغلبها على طائرات الميج، وأنه من دواعي إسرائيل وفخرها أن لديها أفضل الطيارين في العالم".

- في ٢٨ مارس ١٩٧٣ قام رئيس تحرير مجلة النيوزويك الأمريكية بزيارة مصر، ليكتب بعدها مقالاً افتتاحياً جاء فيه: "إنه في حالة قيام مصر بمحاولة عبور القناة، فإن إسرائيل سوف تحقق نصراً ساحقاً، بتلك الطريقة المتالقة التي نعرفها عنها، وحينئذ سوف يصفق لها العالم إعجاباً كما فعل في ١٩٦٧".

- عقب بناء خط بارليف وقف "موشى ديان" وقال لجنوده "لقد بنينا مدافن للجيش المصري".

- قبل الحرب ببضعة أيام قالت "جولدا مائير" كانت المخابرات الإسرائيلية على علم بأن الجيشين المصري والسوري قاموا بحشد قواتهم للهجوم في وقت واحد، وقد اتخذت قواتنا الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر ونحن لا نشك أبداً في أننا سننتصر".

- في زيارة مراسل وكالة "اليونيتيد برس" لخط بارليف عام ١٩٧٢ كتب "توماس تشيتهام" إنه في الوقت الذي تناقش فيه الولايات المتحدة مسألة احتلال إسرائيل لصحراء سيناء، فإن إسرائيل أقامت تحصيناتها بسيناء وعلى امتداد قناة السويس، وأصبح الجنود الإسرائيليين آمنين بنسبة ١٠٠٪ حيث تحميهم ملاجئ ودُشم متينة مصنوعة من الأسمنت المسلح والحديد والقضبان الفولاذية، بينما تقوم الكاسحات والجرافات الإسرائيلية بالتمهيد للوجود الإسرائيلي الدائم بخط بارليف وذلك بتجهيز خنادق الدبابات الثقيلة ومرابض المدفعية بعيدة المدى المنتشرة خلف الخط من مواقع منيعة متماسكة، ويضيف ذلك المراسل وأثناء مناقشتي مع أحد كبار القادة الإسرائيليين على جبهة السويس سألته عن احتمال اختراق المصريين بالقوة لخط التحصينات الإسرائيلية أو محاولة إقامة رأس جسر لهم على الضفة الشرقية للقناة، فأجابني بثقة:

- "إن عبور حفنة من رجال الجيش المصري كقوة دورية مثلاً إلى الضفة الشرقية بغرض بث الألغام والفرار بسرعة أمر ممكن ... أما إقامة المصريين لرأس جسر بقوة كبيرة فهذا أمر محال إنها خطوة ليس في قدرة مصر تحقيقها أبداً... إن الجيش المصري على الرغم من آلاف القصفات من المدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ، قد يفشل في تدمير حصن واحد من حصون خط باريف".

- في الساعات الأولى من الحرب قال "موشى ديان": "أننا سوف نلحق بالعرب هزيمة مجلجلة، إننا سوف نضربهم ضرباً مبرحاً ... ولسوف نسحق كليتهم، إن تحقيق النصر على هؤلاء العرب لا يحتاج منا إلى شهور أو أسابيع أو حتى أيام، إنها مسألة ساعات فقط".

- هناك العديد من التعليقات توضح عجرفة وغرور الجانب الإسرائيلي ولكني أكتفي بما ذكرته.

ماذا قالوا بعد الحرب

- قال الجنرال "حاييم هيرتسوج" في مقال بصحيفة "هآرتس" الصادرة يوم ١٩٧٣/١١/١٣ "إننا نعيش بعد الطوفان ولا خيار لنا إلا أن نكيف أنفسنا مع الواقع الجديد الصعب وغير المريح. واقع ضاعت معه كل الإنجازات التي جمعناها طوال أعوام وخصوصاً بعد حرب الأيام الستة في ١٩٦٧".

- قال وزير خارجية إسرائيل "آبا إيبان" "إن إسرائيل واجهت في حرب أكتوبر تهديداً حقيقياً وخطيراً حتى إن الأمر تطلب قراراً على أعلى مستوى في الولايات المتحدة الأمريكية لكي لا تتعرض إسرائيل للغرق".

- قالت "جولدا مائير" لا شيء أقسى على نفسي من كتابة ما حدث في أكتوبر ١٩٧٣ فلم يكن حدثاً عسكرياً رهيباً فقط وإنما كان مأساة عاشت وسوف تعيش معي حتى الموت".

- ثم تضيف في موضع آخر "إن صدمتنا لم تكن في الأسلوب الذي حارب به المصريين، ولكن في معتقداتنا التي إنهارت أمامنا"، "فقد آمنا باستحالة وقوع حرب في شهر أكتوبر وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذاراً مبكراً لكل تحركاتهم قبل نشوب الحرب وآمنا بقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور قناة السويس".

"لقد إنهار ذلك كله فجأة، إن ما حدث شيء لا يمكن وصفه. ويكفي أن أقول إنني لم أستطع أن أبكي وكنت أقضي معظم الوقت في مكتبي، وأحياناً أذهب إلى غرفة العمليات وكانت هناك اجتماعات متواصلة، وتليفونات من أمريكا، وأخبار مروعة من الجبهة بينما كانت خسائرنا تمزق قلبي".

- في ٩ أكتوبر ١٩٧٣ قال موشى ديان "لن أخفي عليكم أن قواتنا في الجولان وقناة السويس في حالة ذعر تام". ويضيف "ولم يعد لخط بارليف وجود، كما أن أجهزة إشعال مياه

قناة السويس صارت خرافة، واصارحكم بانني لا أتمنى أن اكون في هذه اللحظات في موقف رجال مدرعاتنا، أما سلاحنا الجوي فقد تم تحييده، وبلغت خسائرنا فيه في اليوم الأول فقط ستين طائرة منها ست وثلاثين طائرة فانتوم.

- في محاضرة بتل ابيب ذكرت "جولدا مائير": إن إسرائيل دولة صغيرة أكثر من اللازم، والشعب الذي يعيش في إسرائيل صغير جداً إنني أرى أن خطوات السلام التي تفرضها نتائج الحرب تفرض على كيان إسرائيل وشعبها عبئاً ثقيلاً".

- قال بعض المقاتلين الإسرائيليين "لقد أثارت أعمالهم الانتحارية حيث كان الجندي المصري يلقي بنفسه فوق دباباتنا ليفجرها مما أربك رجال مدرعاتنا".

- صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٩ قام ديان بزيارة لموقع القيادة الجنوبية واطلع على تقريراً، وبمجرد أن اطلع عليه قال "هذه حرب عنيفة يجب أن ننسحب إلى الجبال"، واضاف "اتركوا حصون خط بارليف إن كل من يستطيع الهرب فليهرب، أما الجرحى فليقعوا في الأسر".

- الرئيس الأمريكي "ريتشارد نكسون" لصحيفة "يديعوت احرونوت" الإسرائيلية "لو لم نمد الجسر الجوي إلى إسرائيل لما كان في مقدورها الصمود اكثر من ٤٨ ساعة اخرى".

- الجنرال الفرنسي "أندريه بوفر" أعظم الخبراء الاستراتيجيين قال أثناء ندوة بجامعة القاهرة عام ١٩٧٥: "لا يمكن لأي جيش متقدم على مستوى العالم، أن يدعى أنه في إمكانه تخطيط وتنفيذ حرب كالتي حققها الجيش المصري في أكتوبر ١٩٧٣".

- "هنري كسنجر" في ٦ يناير ١٩٧٤ في بدء جولته المكوكية لفض الاشتباك على الجبهة المصرية "أنتم كمصريين أثبتم قدرة عسكرية فائقة بعبوركم أكبر مانع مائي وهذا لم يكن متوقعاً بأي حال من الأحوال، ونحن كأمريكا لم نكن لننتظر أن نترك المصريين يحققون التحرير بالسلاح السوفيتي باعتبار أن السلاح السوفيتي لا يرقى إلى قدرات السلاح الغربي، والواضح أن الإنسان المصري والعقول المصرية في القوات المسلحة أمكنها بالتكنولوجيا المحدودة أن يحققوا النصر".

- من مذكرات "هنري كسنجر": "اتصال تليفوني من جولدا مائير وهي تبكي وتقول "انقذوا إسرائيل فقد خسرنا في الأيام الثلاثة الأولى من الحرب ٤٠٠ دبابة، ٥٨ طائرة ومئات القتلى والجرحى.

- وزير الدفاع الأمريكي "إن عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس واقتحامها خط بارليف هو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية".

- قال الجنرال الإسرائيلي "ناركيس": "ليس أمامنا مفر من ان نشهد لجهاز التخطيط المصري بالبراعة ... لقد كانت خططهم دقيقة، وكان تنفيذها اكثر دقة. لقد حاولنا بكل جهدنا إعاقة عملية العبور وردها بالقوة على أعقابها غير اننا ما كدنا نتخيل ما حدث إلا وكانت نتائجه قد تحققت لهم. كانما اغمضنا أعيننا، وفتحناها، فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها، ليفاجئونا صباح سبعة اكتوبر بخمسة فرق كاملة أمامنا بالضفة الشرقية من القناة.

- ذكر مؤلفوا كتاب «المحدال»: "كانت الضربة التي تلقاها موشى ديان في ستة أكتوبر ١٩٧٣ عندما عبرت جيوش مصر وسوريا خطوط وقف إطلاق النار، كانت ضربة صاعقة. أما نظرة ديان، ورؤيته للعالم في ذلك الوقت لقد اندلعت الحرب بصورة غير متوقعة، وفي وقت غير متوقع، وبأبعاد غير متوقعة".

- الكولونيل الأمريكي "ت.ن. ديبوي": "إن كفاءة التخطيط والأداء التي تمت بها عملية الاقتحام المصري والتمهيد لهذا الاقتحام بالضربة الجوية، والمدفعية المصرية، لا يمكن لأي جيش آخر في العالم أن يفعل ماهو افضل منه".

- في اليوم الثاني من القتال (١٩٧٣/٦/٧) اتصل وزير الخارجية الأمريكي "كسنجر" برئيسة وزراء إسرائيل "مائير" وسألها

عن الموقف القتالي... فقالت بثقة "أعطني ٢٤ ساعة لكي يتمكن جيش الدفاع الإسرائيلي من حل ازمة المساكن والمواصلات في مصر، وذلك بإلقاء جيشها كله في قناة السويس.

- في مجلة القوات المسلحة الأمريكية الصادرة في نوفمبر ١٩٧٣ (صفحة ٣٠) ذكر " إن قوة الدفاع الجوي المصري غربي قناة السويس تعادل تقريباً قوة إجمالي مصادر الدفاع الجوي الأمريكي المنتشر في جميع أنحاء العالم".

- مراسل الديلي تلجراف "هارولد سيف" في ١٩٧٣/١٠/٣٠: "إن الرئيس السادات قد حقق بالفعل انتصاراً شخصياً فريداً. لقد غيرت الساعات الأولى من يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ عندما عبر الجيش المصري قناة السويس، واقتحم خط بارليف غيرت هذه الساعات مجرى التاريخ بالنسبة للقائد والبلدوعلى الأرجح بالنسبة للشرق الأوسط كله"، ويضيف "لقد استعاد الشعب المصري أخيراً ثقته بنفسه، واستعادت الامة العربية دورها الرائد في هذه المنطقة من العالم".

وساكتفي بقول وزير الخارجية الأمريكي "هنري كيسنجر" للرئيس مبارك وهو نائباً للرئيس السادات "إنكم في مصر لا تُقدرون ماذا فعلتم في اكتوبر".

وللحق بعد مضي سبعة وثلاثين عاماً استطيع ان اصدق هذه العبارة لأننا لو كنا قدرنا ما تم لفعلنا الكثير !!

إن ما سبق ذكره هو مجرد عرض مقارن بين ما كان قبل حرب ١٩٧٣ وما بعدها وذلك على لسان القادة المسؤولين الإسرائيليين، والخبراء العكسريين الأجانب ومراسلي الصحف العالمية ولم أتعرض لقول واحد لأصحاب الكلمة والقرار من المصريين لأن قولهم كان في عملهم الذي أذهل العالم.

إن النصر الذي تحقق لم يكن هبة مجانية ولا ضربة حظ وإنما كان لدم جنودنا وضباطنا البواسل الذي سفك على أرض سيناء وللأسف اقولها والألم يعتصر قلبي على تجاهل كافة أجهزة الدولة المعنية لكل هذه البطولات والتضحييات التي قام بها الجيش المصري فهل يعقل وبعد مرور اكثر من ٣٧ عاماً من حرب ١٩٧٣ ولم يظهر عمل واحد فقط يقترب من الحرب الفعلية التي أبهرت العالم !!

لقد دفعني ذلك التجاهل وخاصة من وسائل الإعلام المختلفة إلى الإشارة فقط لبعض الأعمال التي تمت قبل وأثناء حرب ١٩٧٣ ليعرف ويُلم جيل رجال وشباب وطننا مدى التضحيات التي تحملها رجال أكتوبر وذلك بهدف إعادة الانتماء الذي فقده الشعب المصري وأيضاً للمطالبة بتوثيق وتاريخ هذه الحرب، ولتكريم شهدائنا وأبطالنا بالصورة والطريقة التي تليق بهم.

قبل بدء المعارك في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كانت هناك خمس محطات لابد أن اقف في كل محطة حتى تكون الصورة النهائية واضحة لخطوات الإعداد لحرب أكتوبر:

١- بناء الروح المعنوية التي أُهدرت في هزيمة ١٩٦٧.

٢- إعادة تدريب القوات المسلحة طبقاً لمستجدات الوضع بعد ١٩٦٧.

٣- وضع خطة لعبور القوات المسلحة للضفة الشرقية لقناة.

٤- وضع خطة للخداع حتى لا يتم إجهاض العبور.

٥- عبور القوات قناة السويس.

أولاً- بناء الروح المعنوية

ليس أقسى على إنسان مهما كانت مكانته أو إمكانياته أو مهما كانت الظروف التي يتعرض إليها أن يقبل إهانة حتى إن قبلها لحظياً لظروف الموقف، إلا أنها تظل تاركة في أعماق نفسه آثاراً لا يمكن أن ينساها حتى لو تناساها، إن الإهانات التي تعايش معها المقاتل المصري من شعبه وأهله قبل أعدائه بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت قادرة على تحطيم أعتى الرجال، يزيد على ذلك أن وسائل الإعلام العالمية قبل الإسرائيلية سارعت بإظهار الجيش الإسرائيلي بصورة أنه جيش لا يقهر، وأنه استطاع هزيمة العرب في كل الحروب التي خاضها من عام ١٩٤٨ مروراً ١٩٥٦ وأخيراً ١٩٦٧.

لقد عرضت إسرائيل أفلاماً وصوراً يخزى لها جبين أي إنسان، ما بالنا عندما يراها الجندي المصري، بالرغم من أنه يعلم أنه لم يحارب بالأسلوب الذي تعلمه.

فقد كان الشعب المصري يشعر بالألم والحزن والخزى والعار والحسرة على جيشه.

وفي ظل كل هذه الأمور وتصميم القيادة السياسية على أن "ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وخاصة بعدما وصلت كل المفاوضات السلمية لطريق مسدود أمام العجرفة الإسرائيلية.

ملخص ما أردت أن أذكره هو أن الروح المعنوية كانت في وضع لا تحسد عليه، ولكن في وسط هذا الإحباط وغيوم الهزيمة تظلل سماء مصر بل الوطن العربي شمس تضيئ حقيقة المقاتل المصري حيث تتصدى فصيلة صاعقة أصغر تشكيل في هيكل القوات المسلحة لا يتعد عددها عشرين فرداً، تتصدى بأسلحتها الخفيفة لتمنع مدرعات إسرائيل من التقدم نحو بورفؤاد شرق مدينة بورسعيد وتقع معركة غير متكافئة من كافة الأوجه في منطقة راس العش جنوب مدينة بورسعيد بـ ١٥ كيلومتراً وتكون تلك المعركة هي بداية استرداد الروح القتالية المصرية، يليها مباشرة في ٢١ من شهر اكتوبر ١٩٦٧. يتم إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" في أول معركة بحرية يعرفها العالم بواسطة لنشات صغيرة، والتي كانت نقطة تحول لدى الشعب المصري ورفضه الهزيمة، بل استطيع القول بكل ثقة بأن خروج الشعب المصري بكل طوائفه يومي ٩، ١٠ يونية ١٩٦٧ لمطالبة الرئيس عبد الناصر بعدم التنحي والاستمرار لتحقيق النصر، كان ذلك بداية استعادة الروح المعنوية تمهيداً لحرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبدأت حرب الاستنزاف وشعر الجندي المصري بأنه قادر على استرداد أرضه وكرامته، واستمرت تلك الفترة حتى الثامن من شهر اغسطس عام ١٩٧٠ عندما قبل الرئيس عبد الناصر مبادرة "روجيرس" وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت بوقف لإطلاق النار.

وخلال الفترة من قبول عبد الناصر عدم التنحي حتى وقف إطلاق النيران كانت العمليات الاستطلاعية للصاعقة مستمرة يومياً مما أكسبها الثقة، ومن ثم باقي أفراد القوات المسلحة كانت معنوياتهم ترتفع يوماً بعد يوم ويدركون انهم يملكون أصالة تمتد لسبعة آلاف عام.

ثانياً- تدريب القوات المسلحة

مع ارتفاع الروح المعنوية لجميع أفراد القوات المسلحة، بدأ التدريب القتالي يزداد يوماً بعد يوم، لم يكن التدريب يتم على أسلحة متطورة بالمعنى الذي يتوقعه البعض، وإنما كان يتم على كيفية التغلب على الأوضاع التي استجدت بعد الخامس من يونية ١٩٦٧ من تواجد الجيش الإسرائيلي شرق قناة السويس مباشرة وهي أصعب مانع مائي صناعي عرفته الجيوش، بالإضافة لخط بارليف الحصين، مع تفوق جوي كاسح للعدو، وفوق كل هذا وذاك روح معنوية لدى الجيش الإسرائيلي وصلت لحد يفوق الغرور بمراحل حيث استطاعوا في ست ساعات كما قالوا أن يهزموا ثلاثة دول عربية «مصر- سوريا- الأردن».

كان التدريب يتم على العبور في منطقة وسط قناة السويس تسمى "جزيرة البلاح" باستخدام الدبابات البرمائية، مع إقامة الجسور، نفس الشيء للمدفعية المصرية حيث انشأت ميادين قتال طبق الأصل من الموجودة على الجانب الشرقي لقناة السويس وتدربت على كيفية التعامل معها تحت كافة الاحتمالات.

على نفس النمط كانت القوات الجوية يتم تدريبها على ميادين مشابهة لميادين القتال المتواجد بها العدو الإسرائيلي، وارتقى تدريب القوات الجوية إلى مرحلة "العمليات الحربية المشتركة" وهي أرقى مراحل التدريب، سواء مع المدرعات أو مع قوات الدفاع الجوي.

ومما هو جدير بالذكر أن سلاح المهندسين المصريين بالتعاون مع وزارة البحث العلمي توصلوا قبل الحرب بستة أشهر إلى خلطة من الأسمنت والأسفلت بنسبة معينة تستطيع إصلاح ممرات الطائرات بسرعة فائقة، وكان مجموع الطرق التي كان فريق إصلاح الممرات يقوم بتغطيتها بلغ ٢١٠٠ كيلومتر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً بطول قناة السويس.

يتبقى مشكلة توقف أمامها كل خبراء العالم العسكريين وهي كيف يمكن تدمير أو اقتحام خط بارليف بحصونه ؟!.

كل من شاهد أو درس أو أحيط علماً بتصميم ذلك المانع العظيم أصابهم اليأس والإحباط وأجزموا بأن ذلك الأمر أصبح هو الواقع الذي لابد لمصر من قبوله !!.

إلا أن أصحاب الحضارة كان لهم رأي آخر حيث استطاع المقدم مهندس/ عبد الباقي قائد فرع المركبات بالفرقة ١٩ مشاة من عرض مقترح لكيفية التعامل مع الساتر الترابي لخط بارليف تتلخص في استخدام المياه المضغوطة لتجريف رمال الجبال، حيث تم تحليل مكونات الساتر ووجد أنها تماثل نواتج عمليات تطهير قناة السويس الموجودة بجزيرة البلاح، وقد تمت التجارب أمام الرئيس عبد الناصر.

وفي بداية الأمر تم توفير طلمبات ضغط عال تعمل بالكهرباء توضع على «براطيم» عائمة، وقام قائد الفرقة ١٩ مشاة –اللواء/ سعد مأمون– بإبلاغ تلك المعلومات لوزير الحربية الذي أبلغها بدوره للرئيس عبد الناصر.

لم يتوقف الأمر على ذلك إنما قام سلاح المهندسين بوضع مواصفات جديدة لهذه الطلمبات بحيث تعمل بالوقود بدلاً من الكهرباء وتكون صغيرة الحجم، مع زيادة كفاءتها بحيث أصبحت قادرة على ضخ ٢٠٠ متر مكعب من المياه في الساعة.

أيضاً كان التدريب يتم على إقامة المعابر.

وخلال التدريب استطاعت قوات الصاعقة من التسلل شرق القناة وأسرت مهندس إسرائيلي يعمل في صيانة خزانات النابلم –المواد الملتهبة– الموجودة بطول قناة السويس، حيث تم تحديد أماكنها وشكلها والعمق الموجودة عليه، ومكان وطول الأنابيب التي تنقل محتويات الخزان إلى مياه القناة، وكيف يتم إشعالها، كما قامت الضفادع البشرية بتحديد أماكن الفتحات الموجودة تحت سطح المياه ومواصفاتها وعمقها.

وبناءً على المعلومات السابقة ثم إعداد خطة تنفذها قوات الضفادع البشرية قبل بدء العمليات مباشرة.

وفي أثناء عمليات التدريب قام الجيش المصري بتعلية الساتر الترابي غرب القناة لمنع العدو من مراقبة ما يحدث من تحركات قواتنا، وفي ذات التوقيت تقوم القيادة العسكرية المصرية باستقبال

عالم مصري يحمل الجنسية الأمريكية ويعمل أستاذاً في جامعة "أوكلاهوما" بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عرض ذلك العالم —دكتور/ عبد الهادي— عرض على القيادات المصرية جهازا يمكن بواسطته اكتشاف المعادن والسوائل تحت سطح الأرض يمكن تركيبه على الطائرات وهو ضمن أجهزة الاستشعار عن بُعد حيث يمكن بواسطته اكتشاف موقع وحجم القوات المعادية المختفية.

وفي نفس الإطار للاستعداد للمعركة الفاصلة كانت تدريبات القوات البحرية تتم على المهام التي ستكلف بها أثناء عبور القوات لقناة السويس، بحيث تأخذ وحدات القوات البحرية أوضاعها القتالية في مناطق عملياتها قبل بدء المعارك البرية والجوية، وذلك لمنع تدخل القوات البحرية الإسرائيلية بأي صورة من الصور، بالإضافة لتأمين خطوط مواصلاتنا البحرية، ومساندة عمليات العبور للقوات البرية في القطاع الشمالي مع قصف الأهداف الإسرائيلية شمال سيناء ومنع الإمدادات الاستراتيجية بموانئ حيفا، أشدود ويافا بالنسبة للبحر المتوسط أما في البحر الأحمر فكانت التدريبات تتم على قصف الأهداف الإسرائيلية المواجهة لمدينة السويس، ومنع وصول إمدادات لموانئ إيلات وشرم الشيخ، وإغلاق مضيق باب المندب بالتعاون مع اليمن — الجمهورية العربية اليمنية، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

كذلك كانت الغواصات المصرية تتدرب على بث الألغام على طول الساحل الغربي لسيناء لمنع الإسرائيليين من نقل بترول أبو رديس لإسرائيل.

ثالثاً – وضع خطة العبور

بعد ما تم التأكد من أن الروح المعنوية للقوات المسلحة تم استعادتها وأصبحت الشعارات ليست المرفوعة وإنما المغروسة في أعماق المقاتلين هي:

"النصر أو الشهادة – ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة – لا صوت يعلو فوق صوت المعركة".

ومع التدريب المستمر تحت كافة الظروف والاحتمالات باستخدام ما هو متوافر من أسلحة لا يمكن مقارنتها بالأسلحة الموجودة مع الجانب الإسرائيلي، بالرغم من ذلك وضعت القوات المسلحة خطة العبور آخذه في الاعتبار كافة العقبات والمعوقات التي يمكن مقابلتها، من عائق مائي ممثل في قناة السويس، خط بارليف المنيع، النقط الحصينة بخط بارليف، أنابيب المواد الحارقة بطول القناة، تفوق جوي للعدو كاسح، روح معنوية في قمة غرورها.

ماهي خطة العبور

اشتملت خطة العبور على مجموعة من الخطط الفرعية يتم تنفيذها بتسلسل ملزم بحيث لا يتم تنفيذ نقطة قبل أخرى لأن عدم الالتزام بهذا التسلسل سيؤدي لوجود أخطاء لا يمكن معرفة تأثيرها على عمليات العبور بالكامل، بل ربما يُفشل العبور نفسه وكانت سلسلة الخطة كالآتي:

١- السيطرة على منع ضخ المواد الملتهبة بطول قناة السويس وبدون أن يشعر بها العدو، وأن تتم قبل العبور مباشرة.

٢- تحريك حائط الصواريخ من عمق البلاد إلى مواقعها بالقرب من قناة السويس لمنع تدخل القوات الجوية الإسرائيلية في مراحل العبور.

٣- تحريك كباري العبور وكل معدات العبور من أماكن وجودها إلى المناطق المحددة للعبور.

٤- تجهيز مدفعية الميدان للقيام بالتمهيد النيراني في وقت واحد وبطول قناة السويس.

٥- قيام جميع الطائرات المقاتلة والقاذفة بضرب جميع مطارات سيناء ومراكز السيطرة بها في توقيت واحد.

٦- بدء عبور القوات على قوارب مطاطية لفتح ثغرات في خط بارليف تمهيداً لإقامة رؤوس كباري لعبور المدرعات.

٧- محاولة السيطرة وشل فعاليات النقط الحصينة بخط بارليف بأسرع وقت، وذلك قبل أن تتدخل مدفعية الميدان الإسرائيلية.

٨- منع أو تعطيل وصول الاحتياطيات الإسرائيلية الموجودة خلف المضايق إلى المناطق القريبة من قناة السويس، وبالأخص في مراحل العبور الأولى.

٩- ضرورة الانتهاء من إقامة المعابر في زمن لا يزيد عن ٥ ساعات حتى تستطيع مدرعاتنا العبور ومساندة وحدات المشاة التي عبرت بالقوارب المطاطية قبل تدخل العدو.

١٠- تأمين جميع المعابر طوال الحرب، وإعادة إصلاح ما سوف يتم تدميره بأسرع وقت حتى لا تنعزل قواتنا الموجودة شرق القناة.

رابعاً- خطة الخداع

جميع الحروب التي تمت منذ خلق الله العالم لها خطط خداعية وهذا أمر معروف ومتعارف عليه، والغلبة لمن يستطيع إخفاء هذه الخطط حتى يتم تنفيذها.

لقد قيل أن عدد خطط الخداع التي اتبعتها القوات المسلحة المصرية وصل إلى ٦٥ بنداً سوف أذكر بعضها فقط وهي:

١- نقل معدات العبور الضخمة من جميع أنحاء الجمهورية إلى حافة القناة دون أن يشعر بها العدو، بالرغم من أنها لا تخفي على أحد حتى لو كان عابر سبيل وليس متخصصاً.

٢- نقل حائط الصواريخ المضاد للطائرات من عمق بلدان مصر إلى حافة القناة دون أن يلاحظه أحد (إن دخول كتيبة صواريخ م/ط واحدة إلى الجبهة يتطلب ٥٠ سيارة).

٣- قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان عدد المرات التي يتم استدعاء قوات الاحتياط قد وصل إلى ٢٢ مرة، مما أعطى إسرائيل أن استدعاء الاحتياط للمرة ٢٣ لا يعني شيء، واعتقدت القيادات الإسرائيلية أن ذلك الاستدعاء بسبب مناورات تدريبية سميت "تحرير ٢٣".

٤- قبل الحرب بثمانية أيام فقط كانت القوات المسلحة المصرية تحتفل بذكرى وفاة الرئيس عبد الناصر، وتضع أكاليل الزهور على قبره، وفي نفس الوقت تودع أفواج ضباط وجنود وعائلات رمزية من القوات المسلحة الفائزين بجوائز عُمرة

رمضان وحفظة القرآن، وتحدث الرئيس السادات في تلك المناسبة عن ضرورة إعادة بناء القوات المسلحة وعدم خوض مغامرة عسكرية قبل ان يوفر المعدات لأبنائه المقاتلين وقال عبارة أدهشت الجميع "لن أدفع بأبنائي إلى الحرب قبل ان اضع الإلكترون في أيديهم"... كان لتلك العبارة معنى واحد فقط وهو لا امل في حرب قريبة!!.

٥- اعلنت رومانيا ان وزير دفاعها سيقوم بزيارة رسمية لمصر يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣.

٦- تحرك الأسطول المصري تحت ستار قيامة بزيارة ودية لموانئ الهند وذلك قبل الحرب بخمسة أيام، والحقيقة كانت بهدف غلق باب المندب (المدخل الجنوبي للبحر الأحمر) لمنع وصول الإمدادات البترولية لميناء إيلات من إيران والذي كان يبلغ ١٨ مليون طن سنوياً (كان يعاد تصدير جزء منه لأوروبا) نفس الشيء بالنسبة للغواصات حيث تحركت قبل خمسة أيام من الحرب.

٧- وزير خارجية مصر "محمد حسن الزيات" بناء على تعليمات من السادات قابل وزير الخارجية الأمريكي "هنري كسنجر" للمناقشة حول الحلول السلمية، تم ذلك اللقاء قبل الحرب بـ ٢٤ ساعة في نيويورك بفندق "والدورف استوريا".

٨- في يوم الأربعاء الموافق ٣ اكتوبر (اي قبل الحرب بساعات) عقد اجتماع ضم كل من وزير الدفاع الإسرائيلي (موشى ديان)، ورئيس أركان الجيش (ديفيد اليعازر)، ووزير

الدولة، ومستشار رئيسة الوزراء، ومدير المخابرات الحربية (إلى زائيرا)، الاجتماع بهدف مناقشة الأوضاع على الجبهة المصرية والسورية.

نتيجة لهذا الاجتماع كانت هناك قناعة من أن المصريين غير قادرين على الحرب وعبور قناة السويس.

وحقيقة الأمر أنهم كونوا هذا الرأي بناء على أن المصريين رفعوا درجة الاستعداد وتم استدعاء الاحتياطي ٢٢ مرة سابقة، وتم سحب قوات وتقدم قوات وتحريك معدات عبور ثم سحبها، وآخرهم كانت في شهر مايو ١٩٧٣، وفي كل مرة كانت إسرائيل تتكبد مبالغ باهظة لاستدعاء الاحتياط، وفي نهاية هذا الاجتماع تم الاتفاق لإعادة مناقشته بعد ثلاثة أيام (اي يوم ٧ أكتوبر) في الاجتماع المعتاد لمجلس الوزراء وعقب أجازة عيد الغفران.

٩- قبل الحرب بأيام قليلة أعلن أن السادات ينوي قضاء فترة للاستشفاء في الخارج.

١٠- أخطرت السلطات المصرية سفارة المملكة المتحدة بالقاهرة بموافقتها لزيارة الأميرة الإنجليزية "مارجريت"، وبالفعل غادرت الأميرة إلى روما وكان مقرراً أن تصل القاهرة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

١١- في شهر يولية عام ١٩٧٢ تم تسريح ٣٠ الف جندي مجند وإحالتهم إلى الاحتياط لإعطاء الإسرائيليين مؤشراً من أن مصر لم تحارب (الجنود لم يكونوا من حملة المؤهلات ولا يعملوا في مواقع قتالية).

١٣- قبل الحرب بيومين فقط تم تسريح جزء من القوات المسلحة، ومنحت البعض الآخر اجازات لبعض الضباط والجنود.

١٤- قبل الحرب بدقائق كان هناك مجموعات من الجنود يتواجدون على شاطئ قناة السويس الغربي يلهون ويسبحون ويأكلون البرتقال بل بعضهم يمص القصب كأن الأمر عادي.

إن كل ما سوف يكتب عن خطة الخداع المصرية ليس هو الحقيقة وإنما هو جزء مما سمحت به الجهات المسؤولة، وإن كان لي مطلب من القوات المسلحة فهو مطلب وطني قبل كل شيء هذا المطلب هو توثيق وتأريخ هذه الحرب، كما هو متبع عالمياً وعسكرياً.

خامساً- العبور

اصدر رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أمر القتال،

"إلى القائد العام للقوات المسلحة الفريق اول أحمد إسماعيل علي: يتعين عليك وعلى القوات المسلحة المصرية أن تزعزع نظرية الأمن الإسرائيلي من جذورها، تلك النظرية التي روجوا لها في العالم واقاموا عليها حججهم واستراتيجياتهم في التوسع واحتلال الأرض العربية".

- تم رفع درجة استعداد القوات المسلحة قبل الحرب بخمسة

أيام تحت ستار تنفيذ المناورة تحرير ٢٣ وبدأت جميع وحدات القوات المسلحة التحرك.

- ليلة العبور قامت قوات الصاعقة والضفادع البشرية وأبطلت جميع معدات وأجهزة ضخ النابالم بطول قناة السويس.

- في نفس ليلة العبور وصلت الجبهة كباري ومعدات العبور وانتشرت خلف السواتر الترابية المصرية بطول القناة وتم إخفائها جيداً.

- في ١٩٧٠/٨/٨ موعد وقف إطلاق النار كانت قوات الدفاع الجوي على مسافة ٣٠ كيلومتراً من الجبهة وتحركت ١٥ كيلومتراً قبل الوقف مباشرة، حيث تحركت ٥٠٠ مركبة في سرية تامة وبذلك استطاعت هذه القوات تغطية من ١٣ إلى ١٥ كيلو متراً في عمق سيناء، وقبل الحرب بأربعة ليالي تمت ثاني عملية انتقال قوات الدفاع الجوي لتغطية منطقة أكبر داخل سيناء، وصباح يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ تمت ثالث عملية انتقال لتكون على مسافة ٦ كيلو متراً من قناة السويس لتكون قادرة على التغطية داخل سيناء بمسافة ٢٠ كيلو متراً لحماية قوات العبور، كذلك تم تزويد الدبابات المصرية بالصاروخ سام ٦ المضاد للطائرات ليلة العبور.

- في تمام الساعة ١٤٠٥ يوم السبت الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بدأ الهجوم الجوي المصري بعدد ٢٢٠ طائرة قاذفة طراز سوخوي، تي- يو- ١٦ ومقاتلات طراز ميج ٢١ من جميع

المطارات العسكرية بحيث تكون فوق المواقع الإسرائيلية المراد تدميرها بسيناء في لحظة واحدة.

- بعد ٦٠ ثانية من الهجوم الجوي بدأ التمهيد النيراني بواسطة ٢٠٠٠ مدفع ميداني ثقيل يطلق بمعدل ١٧٥ طلقة في الثانية أي بمعدل ١٠٥٠٠ طلقة كل دقيقة وزنها ٣ آلاف طن واستمر التمهيد النيراني لمدة ١٥ دقيقة لحظة عبور المشاة.

- بعد ١٧ دقيقة من بدء القتال تلقى المركز الرئيسي للقوات المسلحة إشارة تفيد بأن اللواء السابع مشاة ميكانيكي نجح في عبور القناة بالكامل بأسلحته وأفراده، مستخدماً ٧٢٠ قارباً مطاطياً كل قارب يحمل عدد ٢ سلم ومضخات مياه لفتح الثغرات في الساتر الترابي، وقد تم فتح أول ثغرة بعد اربع ساعات من العبور، ثم توالى فتح الثغرات ليصل إلى سبعين ثغرة في الساتر الترابي بحجم ١٥٠٠ متر مكعب لكل ثغرة وإنشاء عشرة كباري ثقيلة لعبور الدبابات والمدفعية الثقيلة، بالإضافة إلى خمسة كباري خفيفة تماثل الكباري الثقيلة لجذب نيران العدو، بالإضافة إلى عشرة كباري لعبور المشاة.

- بعد ساعة، ٢٣ دقيقة من بدء القتال تسقط أول نقطة حصينة في خط بارليف عند الكيلو ١٩ جنوب بورسعيد في قطاع الجيش الثاني، وبعدها بـ ٧ دقائق سقطت النقطة الثانية في منطقة الشط عند الكيلو ١٤٦ في قطاع الجيش

الثالث ومع نهاية يوم العبور الأول سقطت ١٥ نقطة حصينة من إجمالي ٢٥ نقطة، تكلف بنائها ٢٨٣ مليون دولار بدون المعدات والتجهيزات الداخلية.

- جميع كباري العبور تم إقامتها في خمس ساعات وبعد نصف ساعة من إقامتها عبرت أول دبابة للشرق من الجيش الثاني، أما عبور دبابات الجيش الثالث فقد تعطل لليوم الثاني من القتال (٧ اكتوبر) بسبب ارتفاع مستوى المد والجذر وسرعة التيار بقناة السويس.

- وفي اليوم الأول للعبور عبر ٨٠ ألف جندي بمعداتهم منهم ٣٠ الف عبروا خلال ساعة ونصف.

- رد فعل الطيران الإسرائيلي كان بعد ٤٠ دقيقة من نشوب القتال وقد تم إسقاط ٦٠ طائرة في أول يوم (٣٤ سكاي هوك، ٢٦ فانتوم).

- في اليوم الثاني من القتال دارت معركة جوية شرسة بين أحدث الطائرات الحربية من الجانب الإسرائيلي مع الطيارين المصريين على الطائرة الميج ٢١ تنتهي بإسقاط ٢٥ طائرة للعدو مقابل ٦ طائرات مصرية.

- تتوالى الأحداث في اليوم الثالث بتحرير مدينة القنطرة شرق وتدمير اللواء ١٩٠ مدرع بالكامل وأسر قائده .عساف ياجوري.

- ما دار على أرض سيناء من معارك المدرعات تم تصنيفه على أنها أكبر حرب مدرعات في العالم حيث كان عدد المدرعات المشاركة من الجانبين وصل إلى ٦٧٠٠ دبابة ومدرعة.

بعد العرض السريع المختصر للخطوات الخمس التي بدأت ببناء الروح المعنوية ونهاية بالعبور، ما كنت أود أن أصل إليه هو إلمام القارئ فقط بأن ما تم في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن ضربة حظ، وإنما كان كل شيء يتم بحسابات مدققة واضعة في الاعتبار كافة الاحتمالات بل أسوأها، لقد كان أكثر العسكريين الروسيين تفاؤلاً بأن عملية العبور ستكلف المصريين أكثر من ٣٠ ألف شهيداً، وهنا كانت المعجزة حيث وصلت خسائرنا في العبور وفتح الثغرات بالساتر الترابي لا تزيد عن مائتي شهيد.

نفس الشيء توقع الروس أن نخسر ٣٥٪ من عدد طائراتنا أثناء الضربة الجوية الأولى يوم ٦ أكتوبر، وحقيقة الأمر أننا فقدنا أربع طائرات فقط.

إذن نتيجة للأعمال البطولية الخارقة والمحطمة لكل الحسابات العسكرية المتعارف عليها علمياً، استطيع القول بأن الله كان معنا في لحظة استعادة أرضنا وكرامتنا، بالإضافة إلى روح المقاتل المصري التي وضعها عل كف يديه من أجل أن يترك لنا أرضنا حرة محررة.

وإحقاقاً للحق وللتاريخ لا يمكنني القول بأن ما ذكرته عن حرب ١٩٧٣ هو ما تم بالفعل، بل هو جزء من كل حيث هناك

أعمالاً تفوق العقل والخيال معاً، لا يستطيع لا فكري ولا قلمي ان يقترب منها فقط، ولكن اتمنى أن تُفصح القوات المسلحة عن ابطالها واعمالهم وتاريخهم الذي سجل بدم طاهر سُفك على أرض سيناء ولذا سأعطي للقاريء لمحة مبسطة عن شيء واحد فقط حتى يدرك ما أقصده، وهو وصف مبسط لنقطة حصينة من النقط الموجودة بخط بارليف.

وصف مبسط لنقطة حصينة من خط بارليف

شيد الإسرائيليون خط بارليف على ثلاثة مراحل:

الأول عقب حرب ١٩٦٧، والثانية عام ١٩٦٨ واستمرت حتى عام ١٩٧٠، أما المرحلة الثالثة فقد بدأت فور سريان وقف إطلاق النيران في ٨ اغسطس عام ١٩٧٠.

وخط بارليف تم تشييده على حافة القناة الشرقية مباشرة، وهي حافة شديدة الانحدار لإعاقة أي عمليات اقتحام سواء من افراد أو مركبات، وحافة القناة مغطاة بالأسمنت المسلح والحديد لحماية جانبي القناة من التآكل أو الانهيار نتيجة لمرور السفن.

وقد استغل اليهود نواتج عمليات تطهير القناة ونواتج حفرها اصلاً في إقامة خط بارليف الذي وصل ارتفاعه من ١٢ إلى ٢٠ متراً وبزاوية ميل تصل إلى ٦٠ درجة لزيادة صعوبة اقتحامه. يتكون خط بارليف من ٢٢ موقعاً حصيناً تضم ٣١ نقطة قوية، مساحة النقطة القوية تبلغ ٤٠٠٠ متراً مربعاً وبها ٤ دشم الدشمة الواحدة

عبارة عن مبنى يتكون من ثلاثة طوابق الأول والثاني ونصف الثالث موجودين تحت الأرض، أما النصف الأخير من الدور الثالث فهو موجود فوق السطح حيث تخرج منه مزاغل لخروج مواسير المدافع وأجهزة المراقبة الدائرية ٣٦٠ درجة. والطابق يفصله عن الطابق الآخر دشم من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية التي تم انتزاعها من سيناء ثم غطيت بالأتربة بحيث يصل سُمك هذه الفواصل إلى مترين. ولكل ثغرة مدخل واحد فقط ناحية الشرق بعرض خمسة أمتار لعبور الدبابات والعربات القادمة من سيناء، ويتم غلق المدخل في حالة عدم استخدامه أوتوماتيكياً وفي نفس اللحظة يتم وضع الألغام المضادة للأفراد والدبابات.

وتحاط كل نقطة من الخارج بشباك من الصلب تحمل مجموعات من الحجارة بهدف تقوية النقط الحصينة ثم أخيراً وضعت حقول الألغام والأسلاك الشائكة في ٢٥ نطاقاً.

وصف نقطة حصينة من الداخل

كما سبق القول أنها تتكون من ثلاثة أدوار الأول والثاني ونصف الثالث تحت الأرض، وهي تحتوي على أماكن للنوم وتناول الطعام وغرفة سينما وأفران وثلاجات، وغرفة اتصالات للعمليات وتليفون حتى يتمكن الجنود من الاتصال بأسرهم، وحمامات ومخازن لكافة الاحتياجات القتالية والمعيشية والطبية حيث يتواجد طبيب داخل كل نقطة حصينة، مولد كهرباء وأجهزة تكييف.

كما يتواجد تانكات المواد الملتهبة التي ستسخدم عند اقتحام القوات المصرية لقناة السويس وتستوعب هذه التانكات ٢٠٠ طن من هذه المواد التي تعطي درجات حرارة تصل إلى ٧٠٠ درجة مئوية عند اشتعالها على سطح المياه.

أما الدور الثالث العلوي مقسم لقسمين قسم مغطى تحت الأرض والآخر به ٢١ دشمة للرشاشات المتوسطة والثقيلة، ٤ للأسلحة المضادة للطائرات، ٤ للدبابات، ٦ مواقع للهاونات، وكذلك أماكن للمراقبة عبارة عن حجرة من الصلب بسُمك ٢,٥ سنتيمتر تستطيع الرؤية بزاوية ٣٦٠ درجة.

ويلاحظ في الحالات الطارئة أن كل نقطة يمكنها الصمود لمدة تصل لأكثر من ١٥ يوماً دون أن تكون هناك ضرورة لإمدادها بأي شيء.

واخيراً قام الجيش الإسرائيلي وبطول خط بارليف الممتد بطول قناة السويس بإنشاء مرابض للدبابات على مسافة من ١٠٠ متر إلى ٢٠٠ متر.

بعد الشرح المبسط لأحد النقط الحصينة والذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصف حقيقة الواقع لأني شاهدته بنفسي ولكن للأسف كان مدمراً، وما شاهدته يصعب وصفه، ومن هنا أدعو وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والمجلس الأعلى للشباب والرياضة بتنظيم رحلات إجبارية لطلاب المدارس والجامعات لزيارة النقط الحصينة طبقاً لقربها من المحافظات، على أن تقوم القوات

المسلحة المصرية بإعادة بعض النقاط الحصينة لوضعها الأصلي قبل تدميرها مثل نقطة بالقرب من مدينة بورسعيد وأخرى بالقرب من مدينة الإسماعيلية وثالثة بالقرب من مدينة السويس حتى يسهل زيارة هذه المناطق على أن يكون هناك جدولاً زمنياً محدداً لزياراتها.

النتيجة المرجوة من هذه الزيارة هي أن يعرف شبابنا التاريخ الحقيقي لنصر اكتوبر ١٩٧٣ وليتخيلوا كيف استطاع الجيش المصري عبور أصعب مانع مائي عرفته الجيوش وتدمير أقوى مانع صناعي إقامته العقول، كل هذا تم بعقول ودماء وبطولات مصرية ١٠٠٪.

كنت اود ان اضيف لهذا الفصل بعض من الأعمال البطولية الفردية التي سجلها أبناء هذا الشعب العظيم، وبعد أن قمت بتجميع بعضها حدث ما كان غير متوقع ولا موضوعاً في حسبان اي مسؤول في مصر، حيث قام شباب هذا البلد العظيم بثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، مما دعاني لاختصار الأعمال البطولية الفردية لأبطال حرب أكتوبر ١٩٧٣، لأكتب اعتذاري لشباب هذا البلد.

الفصل الرابع

ثـــورة الشـــباب وعودة الانتماء

الفصل الرابع

ثورة الشباب وعودة الانتماء

كان في تخطيطي أن يكون هذا الفصل هو عرضاً سريعاً لبعض الأعمال البطولية الفردية التي قام بها ضباط وأفراد من القوات المسلحة، أعمالاً تفوق الخيال من حيث الوطنية أو التضحية أو الفداء ... والتي عرفنا بعضها بالصدفة والآخر عرفناها عن طريق بعض من أفراد جيش الدفاع الإسرائيلي بعد مضي عشرات السنين.

كان الهدف الذي كنت أسعى إليه من هذا الفصل هو أن عودة الانتماء للوطن ممكنة وليست مستحيلة، مع أني أشرت في مكان ما من هذا الكتاب ان الانتماء يبدأ من أجهزة الدولة أولاً ثم يكون رد فعل المواطن هو انتماؤه.

كانت الأعمال البطولية التي سأذكرها قادرة على بث الروح لدى شبابنا والتي كنت على قناعة تامة أن روح الانتماء قد فقدوها، وكان فقدها بسبب تجاهل جميع وزارات الدولة وأجهزتها لهم ولمطالبهم في حياة كريمة وعدل يسود الجميع دون تفرقة كنت أسأل نفسي هل في ظل أوضاع المجتمع المتردية يمكن أن يكون هناك انتماء؟؟

أسئلة كثيرة جالت بخاطري ولا اخفي أنني كنت أبحث عن شعرة اتعلق بها أو مجرد شعاع نور يظهر في الأفق يهديني إلى ما

كنت أبحث عنه، وجدت عشرات بل مئات الأسباب والمسببات التي أفقدت انتماء الشعب لبلده وادت لثورته.

أسباب ثورة الشباب

عدم احترام آدمية البشر في جميع الأجهزة التي يتعامل معها عدد العاطلين في زيادة عام بعد عام منهم حملة مؤهلات عليا، ترك أمن الشارع المصري والاهتمام بالأمن السياسي، انظر مثلاً كيف يستخدم سائقي سيارات النقل بل وكافة السيارات آلات التنبيه وعدم مراعاة أبسط مبادئ الذوق العام، كيف يسير سائقي هذه السيارات في الطرق غير مبالين بأبسط مبادئ القيادة، أين أماكن عبور المشاة وإن كانت موجودة أين احترامها، لقد احتلت مصر المركز الأخير على مستوى العالم في حوادث الطرق مع أننا لدينا أكبر عدد من قوات الشرطة وصل الأكثر من ضعف عدد الموجود بالقوات المسلحة، وبالرغم من ذلك لم يتم السيطرة على معدلات الجريمة أو أي شيء إنما انفلات أمني في شتى اختصاصاتهم.

كيف يكون هناك انتماء وأطفال الشوارع في زيادة مستمرة وأطفال الملاجئ يعتدي عليهم جنسياً.

أين محاسبة كل فرد بالدولة على الأعمال المفروض ان يؤديها؟ انظروا إلى الشارع المصري كيف وصل لأدنى مستوي نظافة على مستوى العالم، هل لو كان هناك انتماء ستكون هي صورته الآن؟ أين دورات المياه العامة بالميادين؟ وماهي النتيجة التي ننتظرها في

حالة عدم وجودها؟ من الذي استورد السيارات المسماه "توك توك" ومن الذي أخذ حق الدولة في جماركها؟ إذن لماذا تحاربونها بعد السماح لأشخاص معينة بدخولها البلاد؟

أين سلات المهملات بالشوارع والمدارس والمصالح؟ لماذا لا نعلم أطفالنا بالمدارس عن السلوكيات وآدابها؟ في المدارس الخاصة الفرنسية فقط هناك حصة لتعليم تلك السلوكيات، لماذا لا تعمم بجميع المدارس، هل يكون هناك انتماء وعمال النظافة بجميع المصالح يتركون الأنوار مضاءة طوال النهار وأيضاً طوال الليل؟ أين المسؤول الذي يحاسب على ذلك؟ لو كان هناك انتماء لكان كل فرد أدى واجبة دون مساءلة.

نفس الشيء بالنسبة لاستخدامات المياه سواء بالمنازل أو المدارس أو المصالح الحكومية، كلها مهدرة بصورة مستفزة.

كيف يكون انتماء وأعداد البائعين الجائلين بمكبرات الصوت المزعج يجولون مستخدمين هذه المكبرات بصورة غير آدمية ولا ضابط لهم. وكيف يكون انتماء وجميع قطارات وسيارات الحكومة والقطاع العام تخرج من مخازنها وجراجاتها بصورة لا تليق بنقل بشر بل بنقل ... آسف لعدم ذكر ما اعنيه، أين المسؤول عن ذلك ولماذا لا يحاسب؟

كيف يكون هناك انتماء وجميع المصالح الحكومية والخدمية تعامل المواطن بغباء، انظر لفاتورة الكهرباء أو الغاز أو التليفونات أو المياه أو التليفون المحمول وأنت تعرف سبب عدم انتماء الشعب.

سائق التاكسي قبل السماح لك بالركوب يسألك عن الوجهة التي، ترغب الذهاب إليها، إن كانت تناسبه من عدمه، ويشغل الكاست على ما يريده دون مراعاة للراكب، ثم يطلب الأجرة التي يقدرها هو؟!.

وسائق السيارات النقل العام الحكومية يعتبر السيارة ملك خاص له ويضع ما يضعه من صور وآيات وادعية، أين المحاسبة؟ هذه السيارات ملك للشعب لأنه هو دافع الضرائب.

أين الانتماء ومصانع وشركات قطاع الأعمال تم خصصتها وبيعها للمحاسيب بأبخس الأسعار؟ أين أموال هذه الشركات؟

أين أموال المعاشات التي استولت عليها وزارة المالية، أين إيرادات قناة السويس ولماذا لا تدخل خزانة الدولة.

نريد انتماء ومن يذهب لمستشفى حكومي يرى المر ليطلب حق كفله له الدستور، أين التعليم وخريج المؤهل المتوسط لا يستطيع القراءة والكتابة؟ نطلب انتماء ولا يجد الطفل أو الشاب ملعب يمارس أية هواية؟ الشارع هو ملعبه هل ها منطق؟ أين الحدائق العامة والمتنزهات التي تستقبل عامة الشعب؟.

كيف يكون انتماء وأنت تقف في مفترق كباري علوية تكلفت ملايين الجنيهات ولا تجد لوحة أو أي إرشادات تدل على الطريق المفروض أن تسلكه وأنت وذكائك؟ أو تسير في طريق وبعد عدة كيلومترات تجد أن الطريق مغلق للإصلاح؟ كيف لا توضع علامة تدل على ذلك في أول الطريق، أو يقف شخص للإرشاد.

لماذا تم بيع المجمعات الاستهلاكية التي كانت تبيع المنتجات للشعب بأسعار مقبولة بدلاً من جشع بعض التجار؟ الآن تبحث الدولة عن هذه المجمعات؟

نطلب انتماء وهناك ترزية للقوانين ينفذون ما يطلب منهم لمصلحة أشخاص دون مراعاة شعب بأكمله؟

تُسال جميع وسائل الإعلام التي تتبع وزارة الإعلام عن سياستها التي اتبعتها في تسطيح الشعب بأكملة بمسلسلات وبرامج أقل ما يقال عنها إنها أصابت الشعب بالتخلف والبلاهة، هل يعقل أن تكون الأموال المخصصة لهذه الوزارة تعدت ١٣,٥ مليار جنيه سنوياً؟ ماهي مردود هذه الأموال؟

كيف يكون انتماء والشعب يرى ويشعر بعمليات تزوير إرداته في كل الانتخابات التي تتم بدءاً من انتخابات النقابات وصولاً بانتخاب ر ئيس الجمهورية.

إن كل ما ذكرته هو بعض من كل أدى لفقد الانتماء لدى الشعب المصري وكنت أحاول الإمساك بأي خيط استطيع أن يهديني لبداية لكي يسترد شعب هذا الوطن العظيم انتماؤه، ووسط هذا الظلام تشرق شمس من سماء الليل، تشرق بإرادة شباب كان مهمشاً، محطماً، منهزماً، لا يجد فرصة عمل، ولا يشعر بآدميته، لذا فقدنا الآلاف غرقى في الهجرة غير الشرعية وفقدنا الآلاف الذين سقطوا في بئر الإدمان، والآلاف الذين أصيبوا بالاكتئاب، وغيرهم الكثيرين.

كنت أحاول عندما فكرت في إصدار هذا الكتاب أن أجد ثغرة أنفذ منها لتذكرة الشباب بأن هنالك شيئاً اسمه انتماء، كنت حزيناً على شباب هذا الوطن عندما يقابلني آباء كثيرين ويطلبون فرصة عمل لأبنائهم وليس في مقدوري أن ألبي طلباتهم، والأمثلة كثيرة وعديدة ومتنوعة.

ما أصعب أن تجد شاباً جامعياً تتحطم آماله وطموحاته على صخرة واقع أليم فلا عمل وبالتالي لا سكن ومن ثم لا زواج ولا أسرة، إذن ما هو المطلوب منه؟ وفي المقابل يسمع ويقرأ عن أصحاب النفوذ والسلطة والسلطان يسرقون أرض الوطن التي حارب أبائهم من أجل تحريرها !! يجدها تباع بأبخس الأسعار لحفنة من مصاصي دماء الشعب، كل هذا والشباب صامت يتلوى من الألم، يكتوي بنار الفساد والمفسدين.

لقد عشت وعايشت الفترة التي كانت كلمة "ناصر" رمزاً للرئيس "جمال عبد الناصر" فخراً لنا كمصريين عندما نخرج لشتى بقاع الأرض كنا نشعر باحترام العالم لنا عربياً وعالمياً، أما شباب اليوم فكان يسمع الإهانات لبلده ولا يستطيع حتى أن يرد بكلمة، لأنه في المقابل يجد فرصة عمل ولكنها فرصة ذليلة، لماذا تدنت مكانة مصر لهذا الحد؟

ما معنى أن يعيش شبابنا بل وشعبنا بالكامل ٣٠ عاماً كاملة في ظل قانون طوارئ؟ هل هناك دولة في العالم عاشت في حالة طوارئ مثلنا؟ هذا القانون الذي شوه سمعة مصر وكان سيفاً على رقاب الشعب. لقد سحق معظم الشعب تحت الأقدام واغتيلت

الأحلام وتراجعت القيم، اقرا الصحف اليومية لتعرف كيف يكون النفاق الرخيص؟ لماذا تنحني الرؤوس، ماذا يساوي الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ كنا نسمع سنوياً عن تقرير الجهاز المركزي للمحاسبات وبه العديد من المخالفات الفاضحة، ماذا تم بشأنها ؟ ماهي الجهات التي أعارت هذه التقارير الاهتمام؟ لذا تحرك الفاسدون في كل مكان ونهبوا خيرات بلادنا فلا ضمير ولا قانون.

ما معنى أن يتقاضى شخص ما اجراً شهرياً يصل إلى مليون جنيه واخر مليون نصف!! وبفرض أنه يتقاضى مليون جنيه شهرياً أي أن راتبة اليومي ٥٠ الف جنيه وأن ساعة العمل يتقاضى فيها ٦٢٥٠ جنيهاً أي أن الدقيقة الواحدة من وقته الثمين تساوي ١٠٤ جنيهاً، بافتراض أنه لا يشرب ولا يذهب لقضاء حاجته ولا يستقبل زواراً ولا يتحدث في التليفون!!

راتب هذا الموظف العمومي يمكن تشغيل ١٦٦٧ موظفاً براتب ٦٠٠ جنيهاً شهرياً، إذن أين عدالة توزيع الدخل القومي؟

أين يذهب الدخل القومي

إن الدخل القومي المصري أعلى دخل من اي دولة عربية ومصادره متنوعة من سياحة بشتى أنواعها لقناة السويس لبترول وغاز طبيعي أين يذهب هذا الدخل؟ يقال إن الزيادة السكانية تلتهم كل شيء وإن كان السكان عبء؟ إذن لماذا تفوقت الصين وتعداد سكانها يفوقنا مئات المرات، والهند أيضاً؟

حقيقة الأرقام الحكومية

وتأتي بيانات الحكومة الإلكترونية أو الذكية لتسعدنا بالإنجازات الهلامية غير المحسوبة أو الملموسة والأرقام هي سيدة الموقف!!

أية أرقام لها مصداقية؟ أين حقيقة ومصدر هذه الأرقام؟

لقد كان لي تجربة مع هذه الأرقام عندما كنت استعد للحصول على درجة الدكتوراه، حيث بحثت عن حجم واردات مصر من القمح في أحد فصول الرسالة، ماذا قالت الأرقام؟

- مكتب وزير الزراعة يوسف والي.
- مكتب وزير النقل سليمان متولي.
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.
- بنك المعلومات التابع لوزارة النقل.
- مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء.

كل جهة كان لديها بيانات تختلف عن الجهة الأخرى والاختلافات كبيرة إذن لا توجد أرقام حقيقية موثقة!!

النتيجة الحقيقية هي التي يلمسها الشعب المطحون في تحسن مستوى معيشته من كافة الوجوه: تعليم أفضل، صحة، مواصلات، خدمات، طرق، ملاعب، حدائق، ...

أين ممثلي الشعب الحقيقي؟

أين الفلاح المصري؟،
أين العامل المصري؟،
أين الشباب المصري؟

الكل ضاع في الضروب الضيقة وقد حاصره الفساد من كل مكان، لقد انتشر الفاسدون وصاروا لا يخجلون بل صاروا مثل الديناصورات لا يمكن إخفائها، هل يعقل أن من يرشحوا أنفسهم لمجلس الشعب والشورى يضحوا بالملايين لأجل خدمة الشعب؟

المنطق يرفض ذلك والعقل أيضاً، لكن لهؤلاء حسابات أخرى الكل يعيشها ويستوعبها، وفي النهاية هم الفائزون والشعب خاسر!!

لقد أصبح الشعب ضعيف أمام الفساد والمفسدين، فكل الأمور في أيديهم مال وسلطة ونفوذ وقانون طوارئ!

لقد إهدرت كرامة المصريين بالداخل مما أباح إهدارها بالخارج، وأصبحت الإهانات توجه صراحة للمصريين العاملين بالدول التي كانت في وقت من الأوقات تستجدي الرضا عنها من مصر وقادتها!! وشرب المصريين من كاس المذلة داخلياً وخارجياً وأصبحنا بلا قيمة ولا ثمن!!

كم من المصريين قتلوا وتعذبوا في دول مجاورة، والدولة لا تحرك ساكناً ولم تفعل شيئاً كان الأمر لا يعنينها! والنتيجة فقدان الثقة بالحكومة والنظام وبالتالي فقدان الانتماء للبلد بالكامل.

كم من المصريين قتلوا وتعذبوا في الداخل والدولة لا تحرك ساكناً، يكفي حادث العبارة السلام ٩٨ الذي حدث ليلة ٣ فبراير عام ٢٠٠٦ وراح ضحيته ١٠٣٣ قتيلاً طبقاً للإحصائيات الرسمية، وبدلاً من إعلان الحداد يحضر رئيس الدولة وكل الوزراء والمسؤولين من مجلسي الشعب والشورى احتفالات الحصول على كأس أفريقيا في كرة القدم بأستاد القاهرة الدولي، وكأن ١٠٣٣ فرخة فقدت بالبحر الأحمر، اليوم يكون قد أنقضى ٥ سنوات ماذا تم؟ أين المسؤولين عن هذه الكارثة؟ وأين هم الآن؟ لقد أصدرت كتاب العام الماضي بمناسبة الذكرى الرابعة لهذه الكارثة حددت فيه الأسباب والمسؤولين وكيفية منع تكرار مثل هذه الكوارث الأليمة، ماهي النتيجة لاشيء، كل متسبب مازال في مركزه ويقوى يوماً بعد آخر والمسؤولين الذين تقاعسوا عن الإنقاذ لم يسالوا أو يحاسبوا وتبادلت الاتهامات بين وزارة الدفاع ووزارة الطيران المدني وتشكلت لجان عدة ولكنها واحدة في النهاية تحت مسميات مثل لجنة تقصي الحقائق بمجلسي الشعب والشورى، لجنة النيابة العامة، لجنة المدعي العام الاشتراكي، اللجنة الفنية الدولية المشكلة بمعرفة وزراة النقل، كل هذه اللجان كان هناك أعضاء دائمين بها من وزارة الدفاع، والهيئة المصرية لسلامة الملاحة البحرية لم يتم تغييرهم وبالتالي يمكن استنتاج ما هو الهدف من ذلك؟

وضاعت أرواح ١٠٣٣ مصرياً، وعشرات الكوارث ولا أحد يتحرك! وأصبحت الحياة ليس للأصلح وإنما للمنافقون والوصوليون، وأصبح السكوت على الفساد ما هو إلا الضوء الأخضر للمزيد منه.

أطلب من الشباب الآن الانتماء هم يشاهدون يومياً ملفات الفساد بجميع الأجهزة الرقابية توضع على رف النسيان كأنها آداء واجب فقط! إننا حقاً كنا في مسيس الحاجة إلى عهد جديد، عهد ضد الفساد الذي استشرى في ربوع البلاد بطولها وعرضها، كنا في حاجة لاستنشاق رياح الحرية في كل شيء وليس حرية الرأي، كنا في حاجة لديمقراطية حقيقية وليست زائفة، كنا في حاجة لسلام اجتماعي حقيقي، كنا في حاجة لوحدة وطنية حقيقية تقهر قوى وخفافيش الظلام، كنا في حاجة لمن يضع يده على الداء ويصف العلاج، نريد أن يكون الكل أمام القانون سواء، وأن يكون القضاء عادل، نريد شعباً مثقفاً وليس مسطحاً، نريد شبابنا أصحاء، نريد أحكام قضائية تنفذ، نيريد الكثير والكثير، المطلوب أن نبدأ الخطوة الأولى بعد التغيير.

آسف يا شباب وطني

آسف يا شعب مصر

أقولها ملء الفم والقلب اعتذر لكم يا شباب الوطن، لقد أخطأت في حقكم، ولست وحدي الذي أخطأ، فكل قادة البلد والمسؤولين أخطأوا أيضاً، كنت وكانت أجهزة الدولة الأمنية في قناعة تامة بأنكم مهمشين، وبأنكم سطحيين، لا اهتمامات في وجدانكم إلا الأغاني الشبابية واللهو طالما لا وظائف لكم، انفجرت ثورتكم دون ان يتوقعها أية من الأجهزة المختلفة التي تعمل في النظام الحاكم، وبالرغم من إنني كنت في صدد إصدار هذا الكتاب في الأيام الأولى من العام ٢٠١١ لذا أرجأت إصدارة لأكتب لكم هذا الاعتذار الواجب، بالرغم أنه من الصعب على أي محلل أن يكتب عن حدث وهو مازال مستمراً لأن قراءة وفهم أية ظاهرة يتطلب وقتاً لكي تكتمل لمعرفة جميع مدخلاتها لكي يصل لنتائج مقبولة، ولكن الوقت يسرع مثل خطاكم أيها الشباب، ولذا فضلت كتابة مشاعري لأقدم كتابي في الوقت المناسب. الآن أشعر بنشوة غريبة، بدأ الأمل يسري في عروقي بدأ قلبي يرتجف مما شاهدته، السماء تفتح ونرى شمسكم تنير البلاد، بعد ما كساها ظلام الانتهازية والوصولية والرشوة، عجزت كل القوى التي كانت على الساحة السياسية من فعل أي شيء، وفي الجانب الآخر لم يتنازل النظام عن ما هو مصمم عليه "لا نائب لرئيس الجمهورية – الرئاسة إلى الأبد– المواد ٧٦، ٧٧ من

الدستور لن تتغير –توريث الحكم وارد– المادة ٨٨ إلغاء الإشراف القضائي على الانتخابات لتزويرها بالطريقة التي تحلو للنظام قانون الطوارئ لن ينتهي طالما النظام باقي ...).

أنحني أمامكم يا شبابنا فعلتم ما لم يفعله كل المتكلمين على الساحة السياسية والذين ملؤوا الفضائيات بأحاديثهم ومقالاتهم المكتوبة في جرائدهم الحزبية، دون أن يتحركوا قيد أنملة انطلقتم كالصاروخ الذي لا يقف أمامه حاجز أو مانع، حملتم مبادئكم فوق أرواحكم لم تبالوا بقوات الأمن ومدرعاته وأسلحته التي انهالت عليكم، لم تقابلوا العنف بالعنف مع انه حق لكم وهم البادئون، تحملتم القنابل المسيلة للدموع، والرصاص المطاطي ومدافع المياه، والرصاص الحقيقي، سقط منكم الشهداء وكلهم شباب متعلم مدرك واعي مؤمن بقضيته، لم تخافوا ولم تتنازلوا فبدأ الجانب الآخر بالتنازلات التي كانت تاتي متأخرة بفارق زمني هو الفارق بين سنكم وحيويتكم في جانب وفي جانب آخر سن وحيوية متخذي القرار الذين أصيبوا بالشيخوخة يضاف إليها الصدمة التي أحدثتموها بثورتكم التي لم تستطيع أقوى أجهزة المخابرات أن تستوعبها أو تستشعرها أو تتوقعها بهذا الشكل أو بهذا الحجم أو بهذا المضمون.

في صباح يوم ٢٥ يناير يوم شباب مصر تُبث وكالات الأنباء العالمية أخبار ثورتكم، توقفت كثيراً كما توقف غيري، ما الذي يحدث، وكيف يحدث في بلد محكوم بأكثر من مليون ونصف شخص في وزارة الداخلية وبقوانين طوارئ منذ أكثر من ٣٠ عاماً

وامن دولة لا تفوته حركة نملة على أرض مصر، جميع المكالمات التليفونية مراقبة، جميع الأحزاب أيضاً مراقبة، كل من له شأن بالسياسة مراقب، إذن كيف كانت ثورتكم التي أذهلت كل اجهزة المخابرات العالمية، كيف وصلتم إلى هذا العدد في تجمعاتكم في ميادين مصر كلها، اسئلة كثيرة يمكن طرحها، والإجابة واحدة نحن ابناء هذا البلد ولنا الحق فيها.

لم يرتكب اي شاب خطأ واحد لم يلجأ شاب للعنف مع انهم قوبلوا بالعنف وقد شاهدنا ذلك على الفضائيات، أنتم رجال المستقبل بل رجال اليوم.

اتوقف كثيراً امامكم وأمام الدلالات والمعاني والمطالب التي طالبتم بها، لم أجد مطالب شخصية وإنما كلها مطالب وطنية من الدرجة التي تنحني امامها الرؤوس!!

كنت مدركاً حجم الغضب الذي يملئ قلوبكم، وأنكم ضقتم ذرعاً بالفاسدين في الأرض، وفي المقابل لا تجدوا الفُتات الذي يتساقط منهم!!

لولاكم ايها الأبطال لقضينا ما تبقى من عمرنا أسرى للقوانين التي تفصل تفصيلاً لتناسب الشخص المطلوب، وأيضاً لعشنا بقانون الطوارئ والذل والمذلة والاعتقالات بدون محاكمة.

عشتم أغراباً في وطنكم والأغراب تملكوا أرضكم بأبخس الأثمان لو عرفوا كم ضحوا ابائكم بأرواحهم في سبيل هذه الأرض لكانوا حافظوا عليها ولم يفرطوا فيها، كانت الحكومات المتعاقبة متميزة

في تزوير الأرقام والمعلومات لتظهر أن الشعب سعيد وأحواله الميعشية على مايرام بدليل أعداد أجهزة المحمول وأجهزة التكييف!!.

إذن لماذا كل هذه الأزمات المتعاقبة التي تهل علينا دوماً من ازمة أسطوانات الغاز، للخبز، للطماطم، للمياه، للمجاري، للطرق للقطارات، للعبارات....

ولماذا كل المحاكم العسكرية والسجون العسكرية التي امتلأت برجال لم يرتكبوا جرماً يحاسب عليه القانون، إلا انهم أرادوا الوقوف أمام التجاوزات والسرقات أو ان يمارسوا حقهم في العمل النقابي أو السياسي الذي كفله لهم الدستور.

لقد كنت أتصور أن شبابنا لا يغضب بالرغم من أنهم مقهورون كنت أتصور انهم لا يدركون شيئاً في السياسة، واتضح أنهم مدركون، كنت اتصور أن جلوسهم أمام اجهزتهم الإلكترونية للتسلية والمرح وتبادل الرسائل التافهة أو هكذا ... كنت أتخيل ... ولكن الأمر كان على النقيض، فهبت رياح ثورتكم البيضاء، ثورة علم، ثورة نضوج، ثورة تشرح القلوب، ثورة ترفع رؤوسنا لعنان السماء، ثورة مطالبها عادلة، لم يُخربوا ولم يُدمروا ولم يحرقوا بل حافظوا على كل شيء، يكفي انهم عندما شعروا بأن هناك من تسلل من خارجهم وحاول اقتحام المتحف المصري بميدان التحرير كونوا من انفسهم درعاً لمنع سرقة تاريخهم مع أننا سرقنا عمرهم وشبابهم واهدرنا كافة مقوماتهم!!

إن الذي حدث يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ هو جرس إنذار خطير لكل حاكم يستهين بشعبه او بعقولهم!!

هذا الشباب الأعزل الطيب المسالم وقف أمام قوات الشرطة التي كانت تكلف الدولة قدر ما تكلف وزارة التربية والتعليم والصحة معاً، وهو شباب أعزل من أي سلاح، وسلاحة أقوى مما كان الكل يتوقع.

فالنفوس التي ثارت هي نفوس معبأة بالألم وبالتالي فهي نفوس محبطة يائسة من اليوم والغد، كانوا لا يروا في الأفق أمل يتمسكون به كل شيء زائف، الوعود، الأرقام، الإنجازات ... لماذا لم يتعلم الحكام من التاريخ؟ أين الحاكم الذي انفرد بالسلطة وصال وجال ولم يجد من يحاسبه، كيف كانت نهايته؟

الم يتعلم الحكام بأن قوات الأمن الداخلي مهما عظمت قوتها لا تستطيع تأمين حاكم؟ ومن قال أن الرصاص قادر على قمع الشعوب؟ هل يعقل أن يكون تعداد القوات المسلحة بكافة أفرعها والتي تدافع عن حدود بلادنا المترامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لا يزيد مقدارها عن ٤٠٠ الف تقريباً – طبقاً لاتفاقية كامب ديفيد، وأن تعداد قوات الأمن الداخلي تزيد عن المليون ونصف!!

وبالرغم من ذلك لم يكن هناك أمن داخلي المتعارف عليه إنما كان أمن سلطة وتامينها، كان أمن يعمل لصالح فئة معينة وليس لصالح الشعب!

انحني أمامكم أيها الشباب وسينحني أمامكم التاريخ فالمنطق يقول أن استخدام قوات الشرطة العنف معكم يكون في المقابل رد فعلكم كالأسود في المعارك سوف تتركون عقولكم جانباً وتطلقون

العنان لمقابلة العنف بالعنف ويتحول الأمر إلى آلاف القتلى، كنتم حكماء بالرغم من صغر سنكم كنتم أعقل من القادة والزعماء الذين أمروا باستخدام العنف معكم، منظر المصلين بميدان التحرير وهم يادون مشاعر الصلاة وقوات الأمن تطلق عليهم مدافع المياه ونحن في أصعب شهور الشتاء برودة -طوبة- لم يترك أحدكم الصلاة، ضغط المياه قوي يستطيع أن يحرك أي شيء أمامه، ولكنه لم يستطيع تحريككم وانتم ترفعون صلواتكم، ما هذا الصمود، ما هذا الإيمان، ما هذا الثبات رفعتم رؤوسنا أيها الأبطال.

العالم من حولنا كان يتغير ودولاً كانت بيننا وبينها مسافات لكي تصل لتقدمنا، وبالرغم من ذلك سبقتنا وتخلفنا أكثر، أصبح شبابنا يعيش بلا أمل فالعالم يتقدم من حولنا ونحن نتدهور صحياً واخلاقياً وعلمياً وفنياً وفي كافة المجالات الزراعية والصناعية والتجارية... ماذا بعد؟

من كان يتصور دولة مثل اندونيسيا في ظل الأزمة العالمية وظل أنها كانت من الدول الأقل منا بكثير وبالرغم من ذلك تحقق في الربع الأخير من عام ٢٠١٠ نسبة وصلت إلى ٦,٩٪ مدعوماً بقوة الاستهلاك وزيادة الاستثمارات والصادرات.

الصين بكثافة سكانها الذي يزيد مئات المرات عنا تحقق في نفس الفترة السابقة معدل نمو يصل إلى ١٠,٣٪. بل سنغافورة تحقق معدل نمو وصل إلى ١٤,٧٪، وماليزيا ٧٪ والسؤال هنا في مصر من المسؤولين يعطينا رقماً حقيقياً لمعدل النمو في أي فترة؟ والبرازيل التي تعدى

سكانها المائتي مليون نسمة تحولت في خمس سنوات (٢٠٠٢-٢٠٠٧) من دولة متخلفة جائعة إلى دولة عملاقة، وبعدما كانت مديوناتها وصلت إلى ٣٠٠ مليار دولار إلى بلد دائنة للخارج وذلك على يد أحد رجال نقابات العمال "إيناسيو لولا دى سيلفا".

يا شباب مصر ... لقد كانت ثورتكم البيضاء هي التي كشفت من كان يدعى انكم سطحيين وغير جادين في شيء، بل وغير مبالين، وسلبيين ...

لقد انفجر بركانكم الساعة العاشرة صباح يوم الثلاثاء ٢٠١١/١/٢٥ وهو يوم عيد الشرطة!! توافق غريب أليس كذلك؟

انفجر بركانكم ليثبت لجيلي أننا أصبحنا متخلفين ولا صلة لنا عن ابسط مبادئ الديمقراطية لأننا لم نعرفها منذ ولادتنا حتى اليوم والتي تعدت ٦٠ عاماً، لم يعرف جيلي معنى كلمة "حقوق الإنسان" وأين هو الإنسان أصلاً؟ كيف عرفتوا أنتم أيها الشباب مالم نعرفه؟ كيف قامت ثورتكم وليس لديكم حتى عصا لتقاوموا المدرعات التي وقفت أمامكم، حتى أخر لحظة لم نرى منكم عنفاً مع مَن استخدم العنف معكم، كان منظركم يفرح القلوب الحزينة، لقد استطعتم تطويع التكنولوجيا والإنترنت والتويتر والفيس بوك، واليوتيوب لصالحكم، خلقتم لغة تخاطب كسرت كل الحواجز امامها وقربت القارات، أنكم تعاملتم في ثورتكم بلغة لا تعرفها السلطات!!

يكفي أن جميع الأحزاب وكل المعارضين كانوا يطالبون منذ

تولي الرئيس الحكم عقب اغتيال الرئيس السادات في يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ يطالبون بتعيين نائباً للرئيس ولا مجيب، كانوا يطالبون بإنهاء حالة الطوارئ التي استمرت ٣٠ عاماً ولا أُذن تسمع، كانوا يطالبون بحكومة غير التي تدهورت أحوال البلاد والعباد على يدها ولم يتحرك ساكناً، طالبوا ببطلان الانتخابات الجديدة لمجلس الشعب لعام ٢٠١٠ وكأنهم يتكلمون مع أصنام، طالبتم بتعديل مواد من الدستور التي تم تفصيلها خصيصاً لاستمرار رأس الحكم لآخر نفس وإمكانية توريثه ... لقد حققتم أنتم يا شباب مصر كل هذه المطالب خلال أيام ما لم نستطيع تحقيقه في عشرات السنين.

أين رموز النظام الذين كانوا يسيرون مثل الطاوس نافشين ريشهم اين صاحب المقولة الشهيرة "المجلس سيد قراره" لماذا يتراجع ويطالب بالتحقيق في عضوية الأعضاء وقبول حكم القضاء، أين السيد أمين التنظيم الذي يعلن في مداخلة تليفزيونية مساء يوم ٢٧ يناير بأن الدولة لها مؤسساتها وقوانينها ودستورها وهي لا ترضخ لأي مطالب ليست دستورية ثم بعدها بـ ٢٤ ساعة وفي مؤتمر صحفي يعلن ان مطالب الشباب على راسه من فوق!! لماذا يقبلوا أن يكونوا مهانين لهذه الدرجة؟ لماذا لا يكون لهم خط ورأي واحد حتى يكون لهم الاحترام؟!

لقد أعلنوا هؤلاء المنافقين عقب الثورة التونسية بأن مصر لها ظروفها وأن ثورة تونس لا يمكن حدوثها بمصر!! هذه هي مصر ثورة من نوع جديد اخر موديل حديثة لم يصل إليها فكرهم ولا خيالهم ولا كل اجهزتهم الأمنية! كان الرئيس يتوقع قمعها

خلال ساعات وعلى الأكثر خلال يومين ولذا لم يظهر إلا بعد نهاية اليوم الثالث وفجر اليوم الرابع ليعلن إقالة وزارة وتشكيل أخرى جديدة، ومع استمرار المظاهرات تبدأ مرحلة التنازلات بتعيين نائباً له بعد ٣٠ عاماً، ثم يعلن تنازلات أخرى بأنه لن يرشح نفسه مرة أخرى، ثم يقر بضرورة الإسراع في التعديلات الدستورية للمواد ٧٦، ٧٧ التي تمنح الحكم للأبد وكذلك التوريث، وبعد ذلك عزل وزراء وتقديمهم للمحاكمة مع أمين تنظيم الحزب، وسوف تتوالى التنازلات...

السؤال هنا لماذا هذه التنازلات الآن؟ ولماذا محاسبة الوزراء الذين نهبوا أراضي وأموال هذا البلد؟ هل كانت تصرفاتهم من نهب وسرقة الشعب مجهولة ولا يعلمها الرئيس؟ إذن لماذا كان سكوته وهو يرى الشعب يلهث وراء لقمة عيش يومه ولا يجدها؟، يجد ملايين الشباب بدون عمل، ملايين الأسر في عشوائيات ومدافن ملايين الشباب والشابات بدون زواج، الملايين مصابين بالأمراض المميتة -التهاب كبد، فشل كلوي - تعدت نسبته لتعتلي قمة الدول دون منازع، حوادث طرق، مياه مجاري تملئ المدن، مزروعات بمياه الصرف الصحي، مبيدات مسرطنة.

ماذا يعني أن يكون رؤوساء البنوك من رجال الحزب الوطني فقط؟، هل ليكون ولائهم للوطن أم لقيادات الحزب؟، هل لا يوجد في مصر مواطنين أكفاء إلا في الحزب الوطني؟.

كيف يسقط شهداء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بأيدي مصرية؟، سؤال

يطرح ويحاسب المتسبب عنه، فجميع ثورات مصر على مر التاريخ كان الشهداء يقتلوا برصاصات غير مصرية.

من قالوا أن ملك مصر السابق الملك فاروق كان خائناً؟؟

على مقياس ما يحدث في ميدان التحرير لا يكون خائناً بل يوضع على رأس المواطنين الشرفاء يكفي عندما طلب منه الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بترك البلاد لم يساند ولم يحاور ولم يناور ولم يستدعي الإنجليز الموجودين بجيوشهم بمنطقة قناة السويس وإنما قال مقولة يجب أن توضع للتاريخ .. قال "إن نقطة دم مصرية اثمن عندي من كل عروش الدنيا، والرحيل فوراً أهون على قلبي من سفك دماء مصرية حفاظاً على منصبي".

هل هذا الملك خائن؟ للعلم هذا الملك من أسرة محمد علي باشا القادم من البانيا، إذن هو ليس من سلالة مصرية!!

سؤال لكل وزراء مصر السابقين طبعاً، ألم تخجلوا أنه في كل تصريحاتكم تقولون أنه بناء على تعليمات الرئيس، بناء على توجيهات الرئيس أو تنفيذاً للبرنامج الانتخابي للرئيس ...".

كأن الرئيس يمسك بخيوط تحرك الوزراء عرائس في مسرح ليس لهم سياسات ولا برامج ولا حتى شخصيات، ولهم حق لأن كل شيء يسير يوماً بيوم ولا سياسة ولا خطة موضوعة لوزارته وإنما كل وزير يبدأ من أول السطر وحسب ما يحلو له ليفعل؟ هل هذا معقول في دولة لها حضارة وتاريخ؟ مصر هي أول دولة في العالم كان لها حكومة، ولي تجربة شخصية حان وقت كتابتها

هي "طلب مني العمل مستشارا لوزارة النقل عقب وصولي لسن المعاش بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري وكنت رافضاً العمل نهائياً طلباً لحياة هادئة وللتفرغ للكتابة كان أول عمل اكلف به من رئيس قطاع النقل البحري هو عمل خطة استراتيجية لهذا القطاع، فتعجبت وقلت أن هذا القطاع كان وزارة مستقلة اسمها وزارة النقل البحري فكيف لا يكون لها خطة استراتيجية!! بحثت ونقبت فلم أجد شيئاً إذن كيف تدار الوزارات بدون خطط؟ الأمر متروك للأهواء! كيف تتم المحاسبة؟ وعشرات الأسئلة، هكذا تدار مصر!!

لقد تعاملت كل الوزارات التي حكمت مصر من منطلق ما هو مكتوب عن الشخصية المصرية وأخرهم المؤتمر السنوي للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، حيث يذكر بأن "الشخصية المصرية تتسم بالسلبية واللامبالاه، وأن الكثير من المصريين يرون في الإيجابية انها تجلب عليهم المتاعب والمشاكل وأن أغلب المصريين يرضخون للواقع، ولا يتطلعون لشيء، وليس لديهم طموح، ويحاولون التكيف بالواقع وإتقاء الشرور من الكبار".

ويضيف المؤتمر عن الشخصية المصرية "بانها تتحايل على الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بكبت المشاعر والبلادة والنفاق والتكاسل في العمل والفهلوة، وعدم قبول التغيير السريع، والصبر، والمرونة، التي تجعلها قادرة على التكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية".

هل هذه الشخصية هي التي ظهرت في ثورة شباب ٢٥ يناير؟

لقد كانت شخصية جديدة لم يعرفها علماء النفس والاجتماع بل وعلماء السياسة والحكام!.

هل الشباب الذي قام بثورته يوم ٢٥ يناير هم الشباب الذي كان يظهر في لقاءات النفاق التي كانت تتم مع نجل الرئيس أو لقاءات أمين التنظيم للحزب أو مع السيد/ صفوت الشريف!!

هل شباب ٢٥ يناير هم الشباب الذي ولد وتعلم تعليماً فاسداً وتناول طعاماً فاسداً بأسمدة مسرطنة ومياه مجاري، ولم يُقدم له علاجاً فعالاً أو مناسباً، هل هو الشباب الذي أهين في شتى المصالح عند إنهاء مطالبة، هل هو الشباب الذي جلس على المقاهي والطرقات استهلاكاً للوقت، هل هو الذي وقف في طوابير الخبز وأسطوانات الغاز بالساعات، هل هو الشباب الذي ضارب المضاربون بأموالهم في البورصة، هل هو الذي جازف بالموت في الهجرة غير الشرعية، هل هو الذي سافر للعديد من الدول المجاورة ليعمل في وظائف لا تتفق مع مؤهله من أجل أبسط مبادئ الحياة وهي لقمة العيش، هل هو الذي قبل إهانات الأشقاء العرب لأنه مصري ؟؟؟؟

لقد كان شباب الثورة البيضاء وسيظلون فخراً لمصر بل فخراً للعالم عن قريب إن شاء الله.

الخاتمة

قد يدفعني الاطمئنان إلى القول بأني قد نقلت للقارئ العزيز ما كنت أتمنى أن أكتبه عن الانتماء المصري الذي فقدناه وعن كيفية استعادته، ولكني في هذه الحالة أكون قد خدعت نفسي، وخالفت الحقيقة التي أظهرها شبابنا الأوفياء في أحداث ٢٥ يناير بثورتهم البيضاء، وعدم استخدام وسائل العنف لمقاومة العنف الذي عُوملوا به، بل أعطوا أفضل صورة لانتمائهم وحبهم لبلادهم، حافظوا على الأمن بعد انسحاب قوات الأمن نظموا حركة المرور، منعوا سرقة أثار بلادهم، قبضوا على الهاربين من السجون، نظفوا الشوارع، جمعوا القمامة، كل ذلك، كانوا يفعلونه بطيب خاطر، عاش التغيير وعاش كفاح شعبنا واحلام الشباب تتحقق وعلينا أن نعيش فترة جديدة تتسم بالعلم والتحضر والتقدم...

تحية لكم أيها الشباب ودمتم لوطنكم ودام وطنكم لكم

وفقكم الله وسدد خطاكم

المؤلف

دكتور ربان / سامي زكي عوض

- تخرج في الكلية البحرية إبريل عام ١٩٧٠
- عمل بالقوات البحرية وشارك في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣
- عمل بالتدريس بالكلية البحرية ومعهد الدراسات العليا البحرية من عام ١٩٧٦ وحتى ١٩٨٧
- عمل مدير عام التخطيط والبحوث بشركة حاويات بورسعيد من عام ١٩٨٧ وحتى ١٩٩٣
- عمل بالتدريس بالأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري من عام ١٩٩٣ وحتى ٢٠٠٧
- عمل مستشارا لوزارة النقل من عام ٢٠٠٨ وحتى ٢٠٠٩
- له عدة كتب ومؤلفات متنوعة وأوراق بحثية محلية وعالمية

كتب صدرت للمؤلف

- الموانى الجافة (تخطيط وإدارة): منشأة المعارف بالاسكندرية
- محطات الحاويات (تخطيط وإدارة): منشأة المعارف بالاسكندري
- زيادة طاقة محطات الحاويات بالامكانيات المتاحة: منشأة المعارف بالاسكندرية
- البحث وإنقاذ الأرواح في البحار: حقوق النشر للمؤلف
- تحليل كارثة غرق العبارة السلام ٩٨ والدروس المستفادة: منشأة المعارف بالاسكندرية

